

الفصل الأول

استبدال الأداة بالأداة

يُعدّ السلوك اللغوي سلسلة مترابطة من المكونات التي لا ينقسم بعضها عن بعض، تسري دلالاتها لتأدية مفهوم تام من خلال علاقات شكلية ومعنوية، وإذا كانت هذه السمة مما تنماز بها الأساليب الرفيعة، فقد برزت في القرآن الكريم بشكل جليّ نابع من مستواه الإعجازي. ومن هذه المكونات الأدوات النحوية التي تشكل لبنة أساسية للربط بين المكونات اللغوية، لأنها تؤدي في كل نصّ وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها، وفي استبدال أداة بأخرى في العبارة القرآنية حكمة بليغة ذات دلالة وبلاغة وقصد، والأدوات فيها كثيرة، ومواضع استبدالها كثيرة أيضاً، مما سنعمل على استعراض وجوهه ووصفها والنظر فيها، وسنبداً بأقلها دوراناً في متون الآي، ومن الطريف أن يتسق هذا الضابط في فتحها التطبيقية لا في حجمه الإحصائية مع تسلسل الأصوات في بدايات المفاتيح الاصطلاحية التي اتخذناها لتحديد أنواع المستبدلات «الاستقبالية/الإنكارية/التنكيرية»، ثم يكثر الدوران، فتأتي «الجارّة/العاطفة/النافية» في فتحها التطبيقية متسقة المصطلحات مع نظام المعجم أيضاً بالاتفاق المحض، بيد أنها مستعصية على العرض الكامل، مما ألجأنا في دراستنا إلى انتخاب الأمثلة دون الاستيعاب.

◀ الاستقبالية بالاستقبالية:

وهما «السين وسوف»، قال تعالى في سورة الشعراء⁽¹⁾: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَهُمْ

(1) سورة الشعراء، الآية: 6.

أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾، وقال في سورة الأنعام^(١): ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، فحلت (سوف) محل (السين) وهما حرفا التنفيس في العربية، يختصان بالفعل المضارع فيخلصانه للاستقبال^(٢)، ويفيدان الوعد بحصول الفعل، ودخولهما على ما يفيد الوعد أو الوعيد يقتضي توكيده^(٣)، ولكن «سوف» أشد تراخياً في الاستقبال من «السين»، وأبلغ تنفيساً^(٤)، وفي الآيتين المذكورتين وعيد للكافرين بالعقاب لتكذيبهم نبوة محمد ﷺ واستهزائهم بالآيات^(٥). وذكر (سوف) في إحدى الآيتين يفيد تأخير العقوبات إلى زمن أبعد مما في الآية الأخرى. ولوضع كل من «السين» و«سوف» موضعهما أسباب متعددة، منها:

إن المعنيين في الآية الأولى هم قوم الرسول ﷺ من المشركين خاصة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٦)، والمعنى: أشفق

- (1) سورة الأنعام، الآية: 5.
- (2) ينظر: سيويه - الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة، 1988 م، ط 3 (4/217؛ 233)؛ ابن يعيش - شرح المفصل، بيروت، د. ت: (8/148)؛ رضي الدين الأسترابادي - شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، بيروت، 1978 م، ص: 4/29؛ ابن هشام - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، بيروت، 1985 م، ص: 184 - 185؛ السيوطي - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، الكويت، 1975 م، ص: 4/375.
- (3) ينظر: مغني اللبيب، ص: 185؛ أبو السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، د. ت: (3/110)، (6/234).
- (4) ينظر: الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، 1961 م، الطبعة الأخيرة، ص: 249، ابن الأنباري - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، بيروت، د. ت، ص: 2/647؛ شرح المفصل: (8/148)؛ الزركشي - البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، 1972 م، ط 2، ص: 4/282.
- (5) ينظر: الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، 1978 م: 7/95 - 96.
- (6) سورة الشعراء، الآية: 3.

على نفسك يا محمد أن تقتلها حسرةً على عدم إيمان قومك⁽¹⁾، وقوله: ﴿إِنْ نُنَّا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لِمَا خَضِعِينَ﴾⁽²⁾، وهم في الآية الأخرى عموم الكافرين ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾⁽³⁾، فكان مناسباً تعجيل العقوبة لِمَنْ هم أقرب إلى الرسول ﷺ من الكفار الذين آذوه، وحاربوه، وكذبوه قبل الأبعد الذين لم تبلغهم الدعوة بعد، وفي سياق الآية الأولى تسلية للرسول ﷺ بقريته قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَلِغٌ قَدْ نَسَاكَ آلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، فناسب كل ذلك تعجيل التهديد والوعيد. وليس الأمر كذلك في الآية الأخرى، ذكر في سورة الشعراء الأقسام الذين كذبوا أنبياءهم، وعقوباتهم في الدنيا، فقد ذكر موسى ﷺ مع فرعون وقومه، ونجاته ومن معه من المؤمنين، وإغراق فرعون وأتباعه: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾⁽⁴⁾، وذكر نوح ﷺ وإغراق كفار بالطوفان، ونجاته ومن معه من المؤمنين: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾⁽⁵⁾، وذكر هود، وصالح، ولوط وشعيب، وأقوامهم، وما نزل بهم من العذاب لتكذيبهم بهم، فكان مجيء «السين» إشعاراً بتعجيل العقوبة لقوم محمد، كما عجل لغيرهم من الأقسام البائدة، وليس في الآية الأخرى شيء من ذلك.

إن الآية الثانية مبنية على تأخير الوعيد والعقوبات، بخلاف الأولى، ويدل على ذلك أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ في سورة الأنعام ومن آياتها آية «سوف» أن يقول: إنه ليس عنده ما يستعجلون به من العذاب: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾⁽⁶⁾، فناسب عدم الاستعجال ذكر الأداة

(1) ينظر: الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، د. ت (3/1094).

(2) سورة الشعراء، الآية: 4.

(3) سورة الأنعام، الآية: 1.

(4) سورة الشعراء، الآيتان: 65 - 66.

(5) سورة الشعراء، الآيتان: 119 - 120.

(6) سورة الأنعام، الآية: 57.

المذكورة فيها، فضلاً عن كون التنفيس بالسین لا يلائم الجو العام للسورة كلها، ومن آياتها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنْفِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (1)، وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ أَسْرِعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (2) بعد قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ (3)، وقوله: ﴿قَدْ يَفْقَرُ أَصْلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عِقَابُ الدَّارِ﴾ (4)، وهو جو فيه ما يفهم منه تأجيل العقوبة، بدليل قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (5)، بقرينة ذكر (الرحمة) التي تنافي ذلك التعجيل، وقد ختم هذا كله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (6)، فالآية لم تؤكد سرعة العقاب كما أكدت المغفرة والرحمة، كما إن تأكيد سرعة العقاب بـ(إن) وحدها، وتأكيد المغفرة والرحمة بـ(إن) واللام ينافي تعجيل العقوبة أيضاً.

والم تأمل في إطار سورة الأنعام يرى فيها قوله تعالى (7): ﴿قَدْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكذِبِينَ﴾، و(ثم) فيه دالة على التراخي والبعد، مقابل الفاء في قوله تعالى في سورة النمل (8): ﴿قَدْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُجْرِمِينَ﴾ للدلالة على التعقيب (9)، ويتضح من هذا كله أن سورة الأنعام

(1) سورة الأنعام، الآية: 60.

(2) سورة الأنعام، الآية: 62.

(3) سورة الأنعام، الآية: 61.

(4) سورة الأنعام، الآية: 135.

(5) سورة الأنعام، الآية: 12.

(6) سورة الأنعام، الآية: 165.

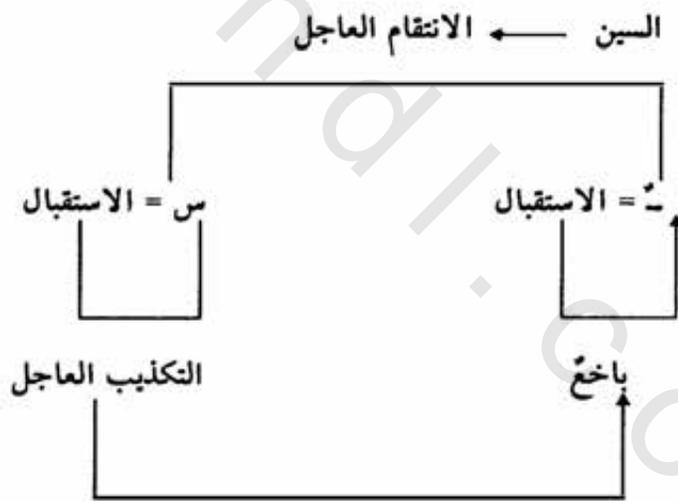
(7) سورة الأنعام، الآية: 11.

(8) سورة النمل، الآية: 69.

(9) ينظر: الصفحة 66 من هذا الكتاب.

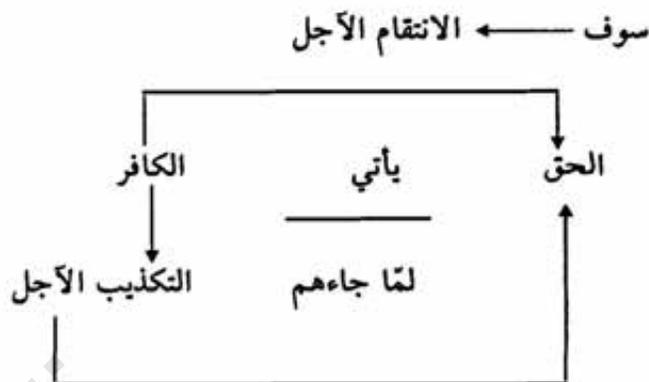
مبنية على تأخير الوعيد والعقوبات، مما يناسبه التعبير بـ (سوف) أكثر من السين ما في سورة الشعراء⁽¹⁰⁾، لأن إرادة الله جلّ شأنه عظيمة، فهو القادر على الانتقام من الكافرين في أي وقت يشاء، غير أنه يمهل الكافرين رويداً بحسب مشيئته، لعلهم يفيقون من غيهم بعدما يأتيهم الحق الذي فيه بيان وهداية. فالزمن المستغرق بين وصول الحق وبيانه، وتكذيبه أطول من تكذيبه مباشرة، مما ألم الرسول ﷺ فيما حكته سورة الشعراء، فأمره الله بأن يُشفق على نفسه ولا يعاتبها، لأن الانتقام من الكافرين عاجل، ولا يفوتنا أن تنوين [بَاخِعٌ] وهو اسم فاعل في آية السورة المذكورة: ﴿لَمَّا بَخِعْ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁽¹¹⁾ يفيد استقبالاً يناسب الاستقبال القريب الذي في قوله: [فَسَيَأْتِيهِمْ]. وبالإمكان عرض الدلالة واتجاهاتها بالصورة الآتية:

● آية سورة الشعراء:



- (1) ينظر: فاضل السامرائي - التعبير القرآني، الموصل، 1989 م، ص: 169 - 170.
 (2) سورة الشعراء، الآية 3. وينظر: شرح المفصل (6/76 - 78)؛ شرح الرضي على الكافية (3/415 - 416).

● آية سورة الأنعام:



◀ الإنكارية التوكيدية بالمصدرية:

وهما «اللام» و «أن» قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَكَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾. وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسَمِّرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁽²⁾، فاختلف في اللام المذكورة في قوله: [لِيُطْفِئُوا]، فقيل: إنها للتعليل، والمراد: يريدون أن يكذبوا ليطفئوا نور الله بأفواههم⁽³⁾، ولكونها مسبقة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَنْزَلَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾⁽⁴⁾، والتقدير: يريدون افتراء الكذب ليطفئوا نور الله بأفواههم، فالمفعول هنا محذوف، لم يذكر اعتماداً على مضمون الآية المذكورة. وقيل: إن هذه اللام زائدة للتوكيد، قال الزمخشري: «وكان هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً لما فيها من معنى الإرادة في قولك: جئت لإكرامك، كما زيدت

(1) سورة الصف، الآية: 8.

(2) سورة التوبة، الآية: 32.

(3) الخطيب الإسكافي - درة التنزيل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، بيروت، 1977 م، ط 2: 196؛ وينظر: المفردات في غريب القرآن: 305؛ الكرمانلي - أسرار التكرار في القرآن، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، تونس، 1983 م، ط 1: 98.

(4) سورة الصف، الآية: 7.

اللام في لا أبالك تأكيداً لمعنى الإضافة في لا أباك⁽¹⁾. وهذا الرأي فيما يبدو أسلم من الرأي الأول، وذلك لأن السياق في سورة الصف في تكذيب النصارى للبشارات بمجيء محمد ﷺ ولما كان السياق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿٢﴾﴾⁽²⁾ واردة لتكذيب النصارى بشارة عيسى عليه السلام بمجيء محمد ﷺ ولتكذيبهم ببياناته على ذلك قصداً إلى إطفاء نور الله، وهو الإسلام⁽³⁾ الذي دعا إليه، فقد اقتضى الموقف التوكيد باللام⁽⁴⁾. والسياق والموقف في سورة التوبة مختلفان لا يحتاج فيهما إلى مثل هذا التوكيد، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ رُؤُوسًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿٥﴾﴾. فالسياق هنا ينمى على معتقدات اليهود والنصارى في عزير، والأخبار، والرهبان، فهم

- (1) الكشاف: (99/4)؛ الفخر الرازي - التفسير الكبير، طهران، د. ت، ط 2 (28/314)؛ أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط، بيروت، 1978 م، ط 2: (262/8)؛ وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (244/8).
- (2) سورة الصف، الآيات: 6 - 8.
- (3) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: 82/10، الدامغاني - قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، بيروت، 1980 م، ط 3، ص: 466، ابن الجوزي - منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق ودراسة: محمد السيد الطنطاوي وفؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية، 1979 م، ص: 229.
- (4) فاضل السامرائي - معاني النحو، الموصل، 1991 م (69/3).
- (5) سورة التوبة، الآيات: 30 - 32.

بادعائهم أن الله ابناً وشريكاً قد جعلوا مع الله آلهة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من غير حاجة إلى التوكيد كالحاجة إليه هناك في آيات سورة الصف.

◀ التنوين: بـ «أل» التعريف:

وهما التنوين والالف واللام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁽¹⁾. وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽²⁾. فقال: (البلد) و(بلدًا) قيل: إن دعوة إبراهيم ﷺ المنقولة إلينا في سورة البقرة قد كانت قبل مصير مكة بلداً، وقبل بناء الكعبة وذلك عند تركه زوجته هاجر وابنه اسماعيل فيه، داعياً ربه أن يجعل الوادي القفر بلداً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾⁽³⁾. بيد أن ما ذكر عنه في السورة الأخرى قد كانت دعوته بعد عودته ورؤيته ما صار إليه المكان من مناسبة العيش فيه، فالدعوة الأولى كانت برجاء أن يكون القفر بلداً تصح به السكنى كما في سائر البلاد، والثانية برجاء أن يبقى البلد آمناً⁽⁴⁾ بصورته الجديدة «فعرّف حين عرّف بالبلدية، ونكّر حيث كان مكاناً من الأمكنة غير مشهور بالتمييز عنها من عمارة وسكنى الناس»⁽⁵⁾.

(1) سورة إبراهيم، الآية: 35.

(2) سورة البقرة، الآية: 126.

(3) سورة إبراهيم، الآية: 37.

(4) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص: 35؛ الضفير الكبير: (4/ 53 - 55)؛ الغرناطي - ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح، بيروت، 1983 م، ط 1، (1/ 234 - 235)؛ البرهان في علوم القرآن: (2/ 64 - 65)؛ السيوطي - الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، 1974 م: (3/ 394)؛ السيوطي - معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد الجاوي، القاهرة، 1973 م: (1/ 89).

(5) درة التنزيل، ص: 29.

ولا عبرة لدينا هنا بمدينة البقرة ومكية إبراهيم، وما فيهما من منافاة ظاهرة لهذا المعنى، لأن زمن الدعوة في المدينة وزمنها في مكة كما أسلفنا مختلفان، وحيث يحكى عن المجهول يُنكر، وحيث يحكى عن المعهود يُعرف، فمكة في سابق عهدها كانت وادياً مجهولاً قفراً غير ذي زرع، وبعد صيرورتها بلداً مسكوناً معهوداً دعت إبراهيم إلى الدعوة لها بالأمن الدائم والاطمئنان، وفي مثل هذا لا يكون التعويل على تاريخ النزول بقدر التعويل على زمن الحدث الداخلي في سياق القصة لحكمة من حكم الإعجاز في العبارة القرآنية.

ومن استبدال التنكيرية بالتعريفية أيضاً قوله تعالى في سورة البقرة أيضاً⁽¹⁾: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدْ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَاطِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالُوا أَنْتَنْبِئُونَ الَّذِي هُوَ أَذْنَبُ بِالَّذِي هُوَ سَيِّئٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، وقوله في سورة آل عمران⁽²⁾: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ الْآسَافِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، فقد قال: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ و﴿بِغَيْرِ حَقِّ﴾ لتدل المعرفة في آية البقرة على أن بني إسرائيل كانوا يقتلون النبيين بغير الحق الذي يدعوا إلى القتل وهو الحق المحدد المعلوم الذي أذن الله أن تُقتل النفس به في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾⁽³⁾، ولتدل النكرة على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً، إذ ليس هناك وجه من وجوه الحق يدعو إلى إيذاء الأنبياء فضلاً عن قتلهم، والقصد السياقي الذي يتحقق بالتنكير هو الزيادة في ذمهم، والعيب على فعلهم أكثر مما

(1) سورة البقرة، الآية: 61.

(2) سورة آل عمران، الآية: 112.

(3) سورة الأنعام، الآية: 151.

في التعريف، والذي يدل على أن الزيادة في ذمهم والعيب على فعلهم في آية آل عمران أكبر منه في آية البقرة أمور، منها:

الجمع دفعة واحدة في آية البقرة بين الذلة والمسكنة في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، والفصل دفعتين في آية آل عمران: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُلْقُوا إِلَّا إِلَىٰ مِجْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾، فكرر فعل الضرب، وجيء بحرف الجر «على» للزيادة في التوكيد، فضلاً عن دلالة جمع القلة في آية البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽¹⁾، لأن الجمع السالم يفيد القلة، والمكسر يفيد الكثرة بما يزيد على العشرة⁽²⁾.

ولعل من حكم الإعجاز أن تقترن المعرفة ﴿يَقْتُلِ الْعَقْبُ﴾ بقتل العدد القليل من النبيين، وتقترن النكرة ﴿يَقْتُلِ حَقْبٌ﴾ بقتل العدد الكثير من الأنبياء، لأن كثرة القتل يمكن أن تفشوا فيها كثرة أسباب لا تدخل في مجملها في دائرة الحق لفساد في سلوك القتلة وانحراف في أمزجتهم وأهوائهم.

ومما يدخل في الدائرة التي نحن بصدها من ظاهرة استبدال التكثير والتعريف، قوله تعالى في سورة مريم⁽³⁾: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، وقوله فيها أيضاً⁽⁴⁾: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. والآية الأولى في مدح يحيى عليه السلام بدلالة قوله تعالى في السياق نفسه: ﴿يُنَجِّي حُزْنَ الْكُتُبِ بِقُوَّةٍ وَأَيِّنُّهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾⁽⁵⁾، فقد سلم الله عليه في هذه المواطن الثلاثة، لأنها أوحش المواطن، ولأن الإنسان يكون فيها في غاية

(1) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص: 30 - 31؛ فاضل السامرائي - معاني النحو، الموصل، 1989 م: (1/ 118 - 119).

(2) ينظر: شرح المفصل: (5/ 9 - 10).

(3) سورة مريم، الآية: 15.

(4) سورة مريم، الآية: 33.

(5) سورة مريم، الآية: 12.

ضعفه، وحاجته، وقلة حيلته، وقوة فقره إلى الله تعالى⁽¹⁾، والآية الثانية في قصة عيسى عليه السلام الذي سلم على نفسه في المواطن الثلاثة نفسها، بدلالة قصة والدته التي بدأت بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، وذلك في سورتها⁽²⁾، وامتدت حتى آخر القول فيها: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾⁽³⁾، وقد قيل: إن «أل» في (السَّلام) للعهد، ليكون معنى قول عيسى: وذلك السلام الموجه إلى يحيى في تلك المواطن الثلاثة موجه إلي⁽⁴⁾ أيضاً. وقال الزمخشري: إنه للجنس، لأن هذا التعريف تعريض باللعنة على أعداء مريم ومتهمها من اليهود، لأن عيسى: حين أراد السلام على نفسه من جنس سلام الله على يحيى خاصة، فقد عرّض كما ذكر الزمخشري بأن ضده على أعداء والدته⁽⁵⁾، ويقوى هذا التصور لأن المقام مقام منكرة وعناد، فقد قال تعالى عن مريم: ﴿فَأَنتَ بِهِ فَمَحَّمَةٌ فَتَلَّوْا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَنِينًا فَقَدِ اسْتَمْعَبْتِ آلَكَ فَتَكُونِينَ سَاهِبًا﴾^(٦) يتأخّت هنرون ما كان أبوك أمراً سوو وما كانت أمك بغياً^(٧) فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في ألمهد صيباً^(٨) قال إني عبد الله ءأتني الكتاب وجعلني نبياً^(٩) وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً^(١٠) وبيراً بولدي ولم يجعلني جباراً شقياً^(١١)﴾⁽⁶⁾، ثم نقل في آخر القصة من كلام عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ

(1) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: (88/11)؛ الكشاف: (504/2)؛ التفسير الكبير: (193/21)؛ القرطبي - الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، 1967 م، ج 10، تحقيق: أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، ص: 220.

(2) سورة مريم، الآية: 16.

(3) سورة مريم، الآية: 34.

(4) ينظر: أبو البقاء العكبري - إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، 1969 م، ط 2 (114/2)؛ الجامع لأحكام القرآن: (104/11)؛ البحر المحيط: (188/6)؛ الشوكاني - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، 1981 م: (3/332).

(5) الكشاف: (508/2)؛ التفسير الكبير: (216/21).

(6) سورة مريم، الآيات: 27 - 32.

يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُتْبِثُ حَيًّا»، وكأنه لم يُبقِ لأعدائه وأعداء والدته بعد أن سلم على نفسه سلاماً من جنس السلام الإلهي على يحيى إلا اللعن⁽¹⁾. ونظير هذا قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام في جداله مع فرعون: «وَأَسَلْتُمُ عَلَيَّ مِنْ أَنِّي أَمُوتُ»⁽²⁾، بمعنى: «أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَكَّلَ»⁽³⁾، وثمة ملحظ خفي يحسن بنا الإشارة إليه مستخلصاً من التكرير والتعريف، لما في التعريف من تعظيم واستغراق لكل درجات الرفعة في السلام مما يناسب درجة عيسى في النبوة وكونه من أولي العزم من الرسل إلى درجة يحيى فيها.

◀ التنوين بالتنوين:

وهي التنوين، فقد قال تعالى في سورة هود⁽⁴⁾: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا بِزَهْرِيمَ بِالْبَشْرِمْ قَالُوا سَكَنًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لِيثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ»، فقد قال الملائكة الذين نزلوا بعذاب آل لوط، ومروا بإبراهيم وبشروه: (سلاماً)، أي: نُسَلِّمُ سلاماً، فقال: (سلامٌ) أي: سلامٌ عليكم، أو أمري سلام⁽⁵⁾، وأتاهم بما يأكلون لظنه: أنهم ضيوف من البشر، ويذكر النحاة فرقاً بين المرفوع والمنصوب، وذلك لإفادة الجملة الاسمية الدوام والثبوت والاستقرار، وإفادة الجملة الفعلية التجدد والحدوث. قال سيويه: «هذا باب من النكرة يجري مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والاسم، وذلك قولك: سلامٌ عليك، ولييك، وخيرٌ بين يديك..»

(1) التفسير الكبير: (216/21)؛ وينظر في هذا النوع من «أل» التعريف: المرادي - الجنى

الداني في حروف المعاني، تحقيق: طه محسن، الموصل، 1975 م، ص: 217؛

معني اللبيب، ص: 73.

(2) سورة طه، الآية: 47.

(3) سورة طه، الآية: 48.

(4) سورة هود، الآية: 69.

(5) ينظر: النحاس - إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، بغداد، 1980 م: 99/2 -

100؛ ابن الأنباري - البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبد الحميد طه،

مراجعة: مصطفى السقا، القاهرة، 1969 م: 391/2، التفسير الكبير: 211/28 -

212، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: 139/8، فتح القدير: 509/2.

فهذه الحروف كلها مبتدأة مبني عليها ما بعدها، والمعنى فيهن أنك ابتدأت شيئاً قد ثبت عندك، ولست في حال حديثك تعمل في إثباتها وتزجيتها، وفيها ذلك المعنى⁽¹⁾. وقال الفراء (ت 207 هـ): «وينصب الفعل إذا كان أمراً عند الشيء يقع ليس بدائم⁽²⁾»، ويفهم من هذا: أن إبراهيم قد حيا ضيوفه الملائكة بجملة أبلغ من جملتهم، وقدم إليهم تحية أحسن مما حيوه به، وكأنه بهذا قد زاد في إكرامهم، وأخذ نفسه معهم بالأدب الإلهي في رد التحية: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيِّتٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾⁽³⁾، ونظير هذا كله ما ورد في سورة الذاريات⁽⁴⁾ أيضاً: ﴿هَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْ عَلَيْنَا فَاَل سَلِّمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾، وفيه إشارة إلى قصد الإكرام كما لا يخفى.

◀ الجارة بالجارّة:

- الباء ← اللام:

قال تعالى في سورة الأعراف⁽⁵⁾: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِرَبِّ قَبْلِ أَنْ مَأَذَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنَّا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال في سورة

(1) الكتاب: (1/330)؛ وينظر: دلائل الإعجاز، ص: 133 - 134؛ شرح المفصل: 1/122؛ شرح الرضي على الكافية: 4/177.

(2) الفراء - معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، بيروت، 1980 م، ط 2: (1/109).

(3) سورة النساء، الآية: 86؛ وينظر: المفردات في غريب القرآن: 239 - 240؛ الكشف: 4/17؛ التفسير الكبير: 28/212؛ البحر المحيط: 8/138 - 1239؛ الإتيان: 2/378 - 379؛ معترك الأقران: 3/133، 616؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: 8/139 - 140؛ بكرى شيخ أمين - التعبير الفني في القرآن، بيروت، 1980 م، ط 4: 189؛ عبد العزيز عبد المعطي عرفة - من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، بيروت، 1984 م، ط 2: 238 - 239.

(4) سورة الذاريات، الآيتان: 24 - 25.

(5) سورة الأعراف، الآية: 123.

الشعراء⁽¹⁾: ﴿قَالَ أَمْسُرْ لَمْ قَبَلْ أَنْ مَادَّنَ لَكُمْ لِنَّمْ لَكَيْرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمَدُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ وَأَلْصِقَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وموضع الاستبدال في الآيتين في ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ و﴿ءَامْسُرْ لَكُمْ﴾، وذلك لكون ضمير الغائب في: ﴿ءَامْسُرْ لَكُمْ﴾ في آية الشعراء عائد إلى غير ما يعود إليه في آية الأعراف: ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾، فهو مع اللام لموسى بدليل قوله: ﴿إِنَّمْ لَكَيْرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ﴾ ومع الباء لرب العالمين، بدليل قوله: ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، وفي هذا ما يشير إلى أن الدلالة قد اتجهت اتجاهين مختلفين باستبدال اللام بالباء، فالباء في ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ للإلصاق، وهو بعض ما يفيد هذا الحرف لدى النحاة⁽³⁾، واللام في: ﴿ءَامْسُرْ لَكُمْ﴾ للتعليل⁽⁴⁾، أي: آمنتم من أجله، وذلك لكون موسى قد أغضب فرعون في سورة الشعراء حين نال منه بالقول وأفحمه بالحجة⁽⁵⁾ أكثر مما فعل في سورة الأعراف، ففي هذا تفسير لتوكيد فرعون ثورة غضبه المتفاقم على السحرة باللام: ﴿فَلَسَوْفَ نَعْمَدُونَ﴾، في الموقف الأول، دون الحاجة إلى ذلك في الموقف الثاني.

الباء ← من:

قال تعالى في سورة البقرة⁽⁶⁾: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَرْزُقَهُمْ مِمَّا آتَى الْوَالِدِينَ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جُنَّحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي

(1) سورة الشعراء، الآية: 49.

(2) سورة الأعراف، الآية: 122. وينظر: درة التنزيل، ص: 176؛ أسرار التكرار في القرآن، ص: 90 - 91؛ البحر المحيط: (4/365)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (3/261)؛ فضل حسن عباس - القصص القرآني إبحاره ونفحاته، عمان، 1987 م، ط 1، ص: 246.

(3) ينظر: الكتاب: (4/217)؛ شرح المفصل: (8/12)؛ الجنى الداني، ص: 102؛ مغني اللبيب، ص: 137.

(4) ينظر: الجنى الداني، ص: 144؛ مغني اللبيب، ص: 275 - 276.

(5) سورة الشعراء، الآيات: 23 - 32؛ وينظر: التعبير القرآني: 296.

(6) سورة البقرة، الآية: 240.

أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾. وقال فيها أيضاً⁽¹⁾: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، مُخْبِرًا عَنْ تَمَتُّعِ الْمَرْأَةِ الْمُتَوَفَى عَنْهَا زَوْجِهَا فِي مَفْتَحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَوْلًا كَامِلًا، يُنْفَقُ عَلَيْهَا مِنْ تَرْكِهِ، وَلَا تَخْرُجُ مِنْ مَسْكِنِهَا، فَإِنْ خَرَجَتْ فَلَا حَرَجَ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ وَلَا عَلَيْهَا فِيمَا فَعَلَتْ فِي نَفْسِهَا مِنْ تَرْكِ الْحُدَادِ، وَالتَّرَبُّصِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلْمُخْطَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ شَرْعًا، ثُمَّ نَسَخَتْ الْمُدَّةَ⁽²⁾ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾⁽³⁾، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ وَ﴿مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ فِي الْآيَتَيْنِ، لِيُفْهَمَ مِنَ النُّكْرَةِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفِعْلِ الَّذِي تَجْتَرِحُهُ لِنَفْسِهَا مِمَّا لَا يُسْتَنْكَرُ شَرْعًا، وَمِنْ الْمَعْرِفَةِ فِعْلِ الزَّوْاجِ خَاصَّةً⁽⁴⁾. وَ(مِنْ) مَعَ النُّكْرَةِ لِلتَّبْعِيضِ وَهُوَ مِنْ بَعْضِ مَعَانِيهَا لَدَى النُّحَاةِ⁽⁵⁾، وَالْمُرَادُ بِهِمَا: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ جُمْلَةِ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَهْنَ أَنْ يَفْعَلْنَهَا مِنْ تَزْوِجٍ، أَوْ تَطْيِيبٍ، أَوْ تَزَيِّنٍ مِمَّا يُعْرَفُ فِي الدِّينِ جَوَازَهُ، وَلِهَذَا خُصَّ بِ(مِنْ)، وَنُكِّرَ⁽⁶⁾، وَالبَاءُ لِلإِلْصَاقِ⁽⁷⁾، وَهُوَ

- (1) سورة البقرة، الآية: 234.
- (2) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: (2/360 - 363)؛ الكشاف: (1/377)؛ الجامع لأحكام القرآن: (3/226)، أسرار التكرار في القرآن، ص: 43؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (1/237)؛ الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة، 1372 هـ، ط 3: (2/157).
- (3) سورة البقرة، الآية: 234.
- (4) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: (2/320)؛ التفسير الكبير: (6/129)؛ الجامع لأحكام القرآن: (3/187).
- (5) ينظر: الكتاب: (4/225)؛ المبرد - المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضية، بيروت، د. ت: (1/44)؛ شرح المفصل: (8/12)؛ الجنى الداني، ص: 315؛ مغني اللبيب، ص: 420.
- (6) ملاك التأويل: (1/274).
- (7) ينظر: الكتاب: (4/217)؛ شرح المفصل: (8/12)؛ الجنى الداني، ص: (315)؛ مغني اللبيب، ص: 137.

كما أسلفنا من بعض معانيها لدى النحاة، أي: لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن بأمر الله، وهو ما أباحه لهنّ من التزويج بعد انقضاء العدة «فالمعروف ههنا أمر الله المشهور، وهو فعله وشرعه، وبعث عليه عباده»⁽¹⁾، فعرف إذ كان معرفة، وجاءت الباء دالةً على الإلصاق لأن الزواج نفسه إلصاق المرأة بالرجل، في حين كان الأول المتعدد من أنواع فعل النساء بأنفسهن وجهاً من الوجوه التي لا تستكر شرعاً، ومما يؤيد هذا اختلاف دلالة (إن، وإذا) قبل (خَرَجْنَ)، لاحتمال أن يكونَ الخروج مع (إن) قبل بلوغ الأجل مما لم يذكر في الآية الأولى، ولرجحان وقوعه مع (إذا) أو التيقن منه، فقد أشار النحاة إلى مجيء (إن) في سياق الشيء المشكوك فيه⁽²⁾، فإذا قلت: أقوم إذا قام زيد، اقتضى هذا أن يرتبط قيامك بقيامه، لا يتقدم عليه، ولا يتأخرُ عنه، وإذا قلت: أقوم إن قام زيد، اقتضى أن يكون ذلك بعد قيامه في لحظته أو متأخراً عنه، فضلاً عن حصول التقييد بالاستقبال بـ (إن) دون اقتضاء تعقيب أو مهلة.

وعلى الرغم من أن استبدال الباء بـ (من) يؤدي وظيفة دلالية مهمة، فإن هذه الوظيفة لا يمكن أن تنأى عن بلاغة النسق الفني للسياق العام، فالدلالة تتباين في الآيتين باختلاف مقام التعبير، وقد اقتضى إعجاز البيان القرآني أن يجري التعبير في الآية الأولى على وفق نمط خاص، تضافرت فيه المكونات كلها لإعطاء دلالة ذلك النمط بإعطاء الخيار للمرأة خلال حول كامل من معروف ببعض غير محدد لحكمة إلهية في ذلك، وحين جاء نسخ الحول وتقييد الخيار بأربعة أشهر وعشرة أيام، اقتضى ذلك تغييراً في نمط التعبير، مما ألقى ظل الدلالة الجديدة في سياق جديد، فإذا كان هناك نوع من الخيار فإن المقام الجديد يتطلب التقييد، والتقييد يتم بالمكونات النحوية: «الباء» الإلصاقية و«اللاصقة» «أل» التي تُخرج الاسم من التنكير إلى التعريف فتحدده بقصد الزواج المعروف لا غير دون غيره من خيارات

(1) درة التنزيل، ص: 52.

(2) ينظر: الجنى الداني، ص: 360.

المرأة في خروجها إبان العام الواحد، ناهيك عن الدلالة الزمنية في (إذا، وإن) والرجحانية أو اليقينية في الأولى والشكية في الثانية. وبهذا تكون القرائن كلها قد تضافرت لخدمة السياق الموضوعي، لأن أيّ تحليل لمعاني الكلمات خارج سياق النص لا يقدم شيئاً يُعتدّ به في مجال التفسير⁽¹⁾.

- اللام ← مِن:

قال تعالى في سورة المائدة⁽²⁾: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وقال في سورة الفتح⁽³⁾: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهَتُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مُثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَيْجٍ أَخْرَجَ سَطَكُمْ فَتَأَزُّدُ فَاسْتَقْلَطُ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وموضع الاستبدال (لَهُمْ)، (مِنْهُمْ) / مغفرة باختلاف موقع (مَغْفِرَةٌ) من الإعراب في الآيتين، وقد تقدم آية المائدة قوله تعالى مخاطباً المؤمنين في أول السورة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعْتِمَ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ

(1) ينظر: عفت الشراوي - بلاغة العطف في القرآن الكريم، بيروت، 1981 م، ص:

(2) سورة المائدة، الآية: 9.

(3) سورة الفتح، الآية: 29.

(4) سورة المائدة، الآية: 1.

(5) سورة المائدة، الآية: 2.

يَنْتَهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَنْ يَكُن يُرِيدُ لِيُطْهَرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّيِمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾⁽³⁾، ولم تقع في هذه الآيات أية إشارة إلى غير المؤمنين، لذلك (لم يحتج إلى تخصيص الخطاب الوعدي، فأطلق القول، ولم يقيد بأن يقال: «منهم»)⁽⁴⁾ ولم يعمل (وَعَدَ) في لفظ المغفرة كما عمل فيه في آية الفتح التي حلَّ فيها منزلة المفعولية الثانية للفعل المذكور، بل جيء بجمله المبتدأ والخبر: ﴿لَمْ مَغْفِرَةٌ﴾ في المنزلة المذكورة، ليكون ذلك أبلغ في استحقاقهم ذلك⁽⁵⁾. وعلى هذا كانت اللام فيها للاختصاص، أو للملك والاستحقاق كما ذكر سيبويه⁽⁶⁾، بيد أن آية الفتح: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ قد جاءت بعد أن ضرب الله مثلاً لبدء أمر الإسلام بالرسول ﷺ وحده، وترقيته في الزيادة إلى أن قوي واستحكم بمن آمن معه «كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرع»⁽⁷⁾، ومع ما وُصف به المؤمنون الذين كانوا مع الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَتَّعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى

(1) سورة المائدة، الآية: 6.

(2) سورة المائدة، الآية: 7.

(3) سورة المائدة، الآية: 8.

(4) ملاك التأويل: (374/1).

(5) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: (91/6)؛ درة التنزيل: (89 - 90)؛ ملاك التأويل: (375/1)؛ فتح القدير: (20/2).

(6) ينظر: الكتاب: (217/4)؛ شرح المفصل: (25/8).

(7) الكشاف: (551/3).

سُوفِهِ، يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا، فقد عاصرهم المنافقون الذين كانوا يتظاهرون بالإيمان ويُسرّون الكفر، ويظهر ذلك في الآيات التي سبقت آية الفتح، وفيها بيان لمآلهم، وتوبيخ وتقريع لهم، لما كانوا يبدونه من أعذار للنبي وأصحابه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾⁽³⁾، وقد صار هؤلاء المنافقون مع المؤمنين في ظاهر أمرهم، دون ما تكن صدورهم، فجاء وعده تعالى في قوله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ مُخْرَجًا الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُتَظَاهَرُونَ بِالْإِيمَانِ، وَيُلَاصِقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وليسوا منهم، وذلك بد (مِنْ) التبعية التي أدت المعنى المذكور⁽⁴⁾. وما ذكرناه يتناسب مع سياق الآيات في كل من السورتين، خلافاً لمن عدَّ (مِنْ) في آية الفتح لبيان الجنس⁽⁵⁾، لا للتبعية من المفسرين. ويكاد محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) يصيب الهدف بقوله: «وقوله: (مِنْهُمْ) يعني: من الشطاء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع الذي وصف ربُّنا تبارك وتعالى صفته»⁽⁶⁾، ولكنه لم يفضل ما أراد.

إنَّ الخطاب في سورة المائدة موجه إلى المؤمنين الذين وعدهم الله بمغفرةٍ وأجرٍ عظيمين، ولكن جملة هذا الوعد: ﴿لَكُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قد جاءت

(1) سورة الفتح، الآية: 6.

(2) سورة الفتح، الآية: 11.

(3) سورة الفتح، الآية: 15.

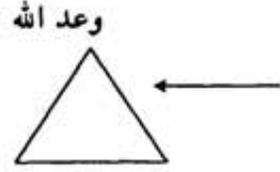
(4) ينظر: ملاك التأويل: (1/ 375 - 377).

(5) ينظر: التفسير الكبير: (28/ 109)؛ الجامع لأحكام القرآن: (16/ 295 - 296)؛

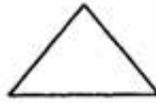
البحر المحيط: (8/ 103)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (8/ 115).

(6) جامع البيان في تفسير القرآن: (26/ 73).

مستقلة بكيانٍ منفصل، لأن الوعد فيها مطلق غير مقيد بشيء آخر، واللام فيها للملكية. وبنيتها الأساسية على الحدو الآتي:



الذين آمنوا وعملوا الصالحات

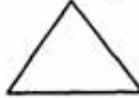


مغفرة وأجر عظيم

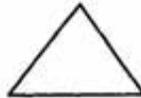


وبهذا برزت أهمية الاختصاص والتوكيد في تقديم ﴿لَهُمْ﴾ الملكية هنا للعناية والاهتمام، ولذلك جاءت عبارة: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مستقلة عما قبلها لتوكيد استقلال المؤمنين على الإطلاق، في حين ارتبطت المغفرة والأجر العظيم في سورة الفتح بالوعد، فهما مقيدان، وفي هذا مناسبة للفظة (مِنْهُمْ) الدالة من جهتها على التقييد، فالبنية الأساسية لآية الفتح هي:

وعد الله



الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم



مغفرة وأجراً عظيماً

وفي هذه البنية ينكشف عدم استقلال عبارة: ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ المقيدة. بخلاف ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

اللام ← إلى:

قال تعالى في سورة الزمر⁽¹⁾: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ﴾. وقال في سورة لقمان⁽²⁾: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّقُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّقُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فقال: ﴿لِأَجَلٍ﴾ و﴿لِأَجَلٍ﴾، وما ورد باللام يفيد التعليل⁽³⁾، بمعنى: كل يجري لبلوغ أجلٍ مسمى⁽⁴⁾، أي: كل يجري لبلوغ هذه الغاية. وما جاء ب(إلى) يفيد انتهاء الغاية زماناً، قال سيويه: (وأما «إلى» فتمهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا)⁽⁵⁾، لأن قوله تعالى: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معناه: يبلغه وينتهي إليه⁽⁶⁾.

وقد خُصت آية لقمان ب(إلى) التي تفيد انتهاء الغاية، لأن الآيات التي تكتنفها منبهة على النهاية والحشر والإعادة، فقبلها قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَجِدْوًى﴾⁽⁷⁾، وبعدها قوله تعالى: ﴿يَكْتَأِيهَا النَّاسُ أَنْفَعُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾⁽⁸⁾، وقوله

(1) سورة الزمر، الآية: 5.

(2) سورة لقمان، الآية: 29.

(3) ينظر: شرح الرضي على الكافية: (284/4)؛ مغني اللبيب، ص: 275 - 276.

(4) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: (82/22)؛ الكشاف: (237/3).

(5) الكتاب: (231/4)؛ وينظر: المقتضب: (139/4).

(6) ينظر: الكشاف: (237/3)؛ البحر المحيط: (139/7).

(7) سورة لقمان، الآية: 28.

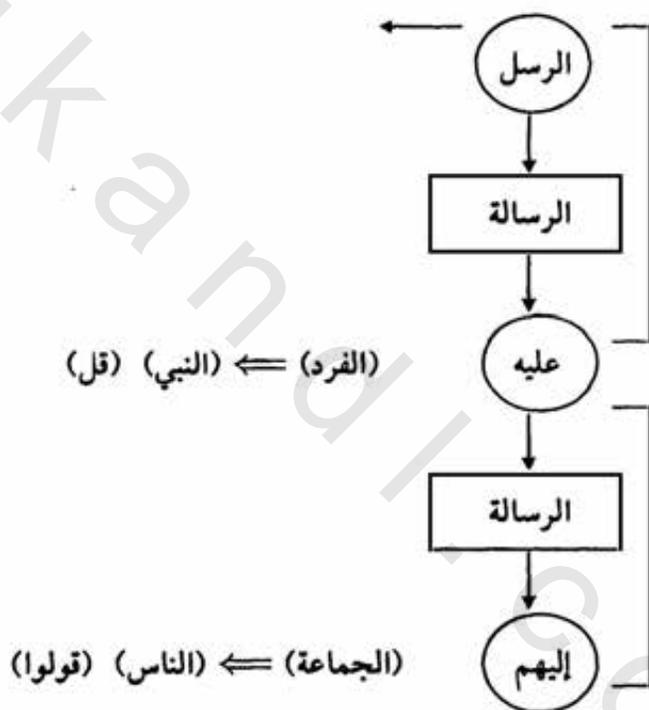
(8) سورة لقمان، الآية: 33.

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾⁽¹⁾، فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تُكْوَر فيه الشمس، وتنكدر فيه النجوم، كما أخبر الله تعالى في سورة التكوير بقوله⁽²⁾: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾، في حين جاءت المواضع التي ذُكرت فيها اللام للإخبار عن ابتداء الخلق، وذلك قوله تعالى في الزمر⁽³⁾: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِرُ أَيْدِي عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِرُ اللَّيْلَ عَلَى أَيْدِي وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدْوٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَمِنْهُ حَلَّتْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْغَلَّةِ وَعَبَّاسٌ ﴿٦﴾﴾، فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السموات والأرض، وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية⁽⁴⁾. ومثل هذا قوله تعالى في سورتي فاطر والرعد⁽⁵⁾: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فاللام فيهما للتعليل، يسبق آية فاطر قوله تعالى في ذكر ابتداء خلق الإنسان: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾⁽⁶⁾، ويسبق آية الرعد، قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِدُونِ عَدْوٍ تَرَوْنَهَا تُمْ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾⁽⁷⁾.

وقد بينت آية الزمر قدرة الله على ابتداء الكون من عدم، وبيّنت سورة لقمان البعث وإعادة الخلق بقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنِينَ وَجِدْوً﴾، أي:

- (1) سورة لقمان، الآية: 34.
- (2) سورة التكوير، الآيتان: 1 - 2.
- (3) سورة الزمر، الآيتان: 5 - 6.
- (4) ينظر: درة التنزيل، ص: 374 - 375.
- (5) سورة فاطر، الآية: 13. سورة الرعد، الآية: 2.
- (6) سورة فاطر، الآية: 11.
- (7) سورة الرعد، الآية: 2.

﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾⁽¹⁾، و(إلى) كما يقول النحاة لانتهاه الغاية⁽²⁾، والمؤمنون لم يتلقوا وحياً مباشراً، وإنما أنزل الوحي على الأنبياء، ثم انتهى من عندهم إليهم. فلما كان ﴿قُولُوا﴾ خطاباً لأمم الأنبياء دون الأنبياء أنفسهم، كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على) في هذا المكان، وقد جعل ما لحقه في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا إِزْهَاتٍ لِلسَّمْعِ وَتَاوِيلَ لِمَا نُنزِلُ فِي الْكِتَابِ لَعَلَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنَ الْقَوْمِ يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾، فأنسب كل حرف مكانه من آيته:



(1) سورة البقرة، الآية: 135.

(2) ينظر: الكتاب: (4/ 231)، المقتضب: (4/ 139)؛ مغني اللبيب، ص: 104.

(3) ينظر: درة التنزيل، ص: 35؛ أسرار التكرار في القرآن، ص: 35-36؛ ملاك التأويل: (1/ 238 - 239)؛ الإتيان: (3/ 394)؛ معترك الأقران: (1/ 91)؛ الخطيب العمري - تيجان البيان في

مشكلات القرآن، دراسة وتحقيق: حسن مظفر الرزوي، الموصل، 1985 م، ط 1، ص: 253.

◀ الجارة بالعاطفة

- الباء ← الواو:

قال تعالى في سورة القدر⁽¹⁾: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، وقال في سورة النحل⁽²⁾: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، فقال: ﴿وَالرُّوحُ﴾ و﴿بِالرُّوحِ﴾، والسياق الأول في بيان فضل ليلة القدر، وهي ليلة ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾⁽³⁾، وقد ذهب معظم اللغويين والمفسرين إلى أن المراد بالروح في سورة القدر هو جبريل عليه الصلاة والسلام بدلالة قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٧٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾⁽⁴⁾، ينزل في تلك الليلة، ومعه الملائكة⁽⁵⁾. وإنما ذكر جبريل مع الملائكة مع أنه من جنسهم، تعظيماً له وتشريفاً⁽⁶⁾. وقد قيل في تسميته بالروح ما يحصل بوجوده من حياة للقلب بالهداية والمعرفة⁽⁷⁾. والمراد بالروح في الآية الثانية هو الوحي المنزل من عند الله تعالى على رسله، من جملته القرآن الكريم⁽⁸⁾، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

(1) سورة القدر، الآية: 4.

(2) سورة النحل، الآية: 2.

(3) سورة القدر، الآية: 3.

(4) سورة الشعراء، الآيتان: 193 - 194.

(5) ينظر: الفراء - معاني القرآن: (280/3)؛ جامع البيان في تفسير القرآن: (168/30)؛ إصلاح الوجوه والنظائر، ص: 212؛ الكشف: (273/4)؛ منتخب قرة العيون النواظر، ص: 132؛ التفسير الكبير: (34/32)؛ القرطبي - الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، 1967م، ج 20، تحقيق: مصطفى السقا، ص: 133؛ فتح القدير: (472/5).

(6) ينظر: التفسير الكبير: (34/32)؛ فتح القدير: (472/5).

(7) ينظر: التفسير الكبير: (220/19).

(8) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: (53/14)؛ القاضي عبد الجبار - تنزيه القرآن عن المطاعن، بيروت، د. ت، ص: 217؛ إصلاح الوجوه والنظائر، ص: 212؛ منتخب قرة العيون النواظر، ص: 132؛ التفسير الكبير: (220/19)؛ الجامع لأحكام القرآن: (67/10)؛ الإتقان: (151/2)؛ فتح القدير: (147/3).

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا⁽¹⁾. وُسْمِي بِهِ رُوحًا لِأَنَّهُ يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِالْجَهْلِ، أَوْ يَقُومُ فِي الدِّينِ مَقَامَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ⁽²⁾. قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: «الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ بِهِ تَكْمُلُ الْمَعَارِفُ الْإِلَهِيَّةُ وَالْمَكَاشِفَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ، وَهَذِهِ الْمَعَارِفُ بِهَا يَشْرُقُ الْعَقْلُ وَيُصَفُّو وَيُكْمَلُ، وَالْعَقْلُ بِهِ يَكْمَلُ جَوْهَرَ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ بِهِ يَكْمَلُ حَالَ الْجَسَدِ، وَعِنْدَ هَذَا يَظْهَرُ أَنَّ الرُّوحَ الْأَصْلِيَّ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْوَحْيُ وَالْقُرْآنُ، لِأَنَّهُ بِهِ يَحْصُلُ الْخِلَاصُ مِنْ رَقْدَةِ الْجَهَالَةِ وَنَوْمِ الْغَفْلَةِ، وَبِهِ يَحْصُلُ الْإِنْتِقَالُ مِنْ حَضِيضِ الْبَهِيمِيَّةِ إِلَى أَوْجِ الْمَلَكِيَّةِ»⁽³⁾. فَالْبَاءُ فِي الْآيَةِ قَبْلَهُ لِلْإِلْصَاقِ⁽⁴⁾، لِأَنَّ الْوَحْيَ يَلْتَصِقُ بِقُلُوبِ عِبَادِ اللَّهِ، وَيَتِمَكَّنُ مِنْ عَقُولِهِمْ. وَسِيَاقُ الْآيَةِ مُرَدُّو إِلَى مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَعْجِلُونَ بِهِ الرَّسُولَ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ أَوْ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ فِي يَوْمِ بَدْرِ اسْتَهْزَاءً وَتَكْذِيبًا لَوْعَدِهِ⁽⁵⁾، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿أَفَنُ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾⁽⁶⁾، وَوَجْهَ اتِّصَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ بِمَا قَبْلَهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَهُمْ عَنْ اللَّهِ أَنَّهُ قَدْ قَرَّبَ أَمْرَهُ وَنَهَاهُمْ عَنِ اسْتَعْجَالِ تَرَدُّدِهَا فِي الطَّرِيقِ الَّتِي عَلَّمَ بِهَا الرَّسُولَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ عَلَّمَ بِهَا بِالْوَحْيِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ⁽⁷⁾.

◀ العاطفة بالعاطفة:

ليست الكلمة - فيما نعلم - معنىً محدوداً عارياً من الظلال والإيحاءات، تكفي مراجعة المعجم في معرفة تفسيره ودلالته. كما أن الكلمات لا تتفاضل في ذاتها بل تستمد حرارتها وحركتها من خلال السياق العام، وعن سبيل الوثائق

(1) سورة الشورى، الآية: 52.

(2) ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص: 217؛ الكشاف: (2/400)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (5/95).

(3) التفسير الكبير: (19/219 - 220).

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (5/95).

(5) ينظر: الكشاف: (2/4).

(6) سورة النحل، الآية: 1.

(7) ينظر: فتح القدير: (3/147).

الوثيق بين اللفظ وما سبقه وما لحقه ينمو خط نفسي يشع بكل العطاء الفني⁽¹⁾. وأسلوب العطف «سياق تنتظم الكلمات في بنائه، وتكشف عن تعاطف بين الأشياء، يتم من خلالها العثور على علاقة تضاف جديدة بين الموجودات»⁽²⁾، وفي القرآن الكريم من أنماط العطف ووجوه الاستبدال بين أدواته ما يُلفت النظر، مما سنعرض له في هذه الفصلة من البحث:

- الفاء ← ثم:

قال تعالى في سورة الأنعام⁽³⁾: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ تُرَىٰ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، وقال في سورة النمل⁽⁴⁾: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ فقال: ﴿ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ و﴿فَانظَرُوا﴾ لتدل ﴿ثُمَّ﴾ في آية الأنعام على التراخي والمهلة⁽⁵⁾، والفاء في آية النمل على الترتيب والتعقيب⁽⁶⁾، وضع ﴿ثُمَّ﴾ مناسب للجو العام لسورة الأنعام، فقد بُنيت على تأخير الوعيد والعقوبات، قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾⁽⁷⁾، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَتَّبِعُونَ بِهِ﴾⁽⁸⁾، فقد أمر الله رسوله أن يقول إنه ليس عنده ما يستعجل المشركون به من العذاب، وقال: ﴿قُلْ يَتَقَوَّرُ آبَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَكُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾⁽⁹⁾، وقال: ﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

(1) رجاء عيد - في البلاغة العربية، أسبوط، د. ت، ص: 53.

(2) بلاغة العطف في القرآن الكريم، ص: 151.

(3) سورة الأنعام، الآية: 11.

(4) سورة النمل، الآية: 69.

(5) ينظر: المقتضب: (10/1)؛ الجنى الداني، ص: 406؛ مغني اللبيب، ص: 158 - 160.

(6) ينظر: الكتاب: (217/4)؛ المقتضب: (10/1)؛ الجنى الداني، ص: 121؛ مغني اللبيب، ص: 213 - 214.

(7) سورة الأنعام، الآية: 5.

(8) سورة الأنعام، الآية: 57.

(9) سورة الأنعام، الآية: 135.

أَلْفَيْكَمَ لَا رَيْبَ فِيهِ»⁽¹⁾، وهذا يفيد تأخير الحساب والجزاء إلى يوم القيامة، لهذا أمر الله تعالى رسوله في هذا السياق بإخبار المشركين بأنه تعالى ليس عنده ما يستعجلهم به من العذاب، وقد تقدم في هذه السورة ذكر القرون في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾⁽²⁾ وكانوا قد أمروا في آيتها باستقراء الديار، وتأمل الآثار الكثيرة الدالة على ذلك، لهذا قال الكرمانى (المتوفى في العقد الأول من القرن السادس للهجرة): «يقع ذلك سيراً بعد سير وزماناً بعد زمان، فحُصت بـ«ثم» الدالة على التراخي بين الفعلين، ليُعلم أن السير مأمورٌ به على حدة، والنظر مأمورٌ به على حدة»⁽³⁾، لأنه دعا إلى العلم بذلك سيراً في البلاد، ومشاهدة للآثار «وفي ذلك ذهاب أزمنة كثيرة، ومددٍ طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير»⁽⁴⁾.

أما الفاء في آية النمل فسيبية عطفت جملةً على جملة⁽⁵⁾، لأنه تعالى قد جعل السير سبباً للنظر في قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾، فكأنه قد قيل: «سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين»⁽⁶⁾، ويدل هذا على أن السير يؤدي إلى النظر ويقع عقبيه، وبهذا تكون الفاء واقعةً في الجزاء بخلاف (ثم) التي لم تقع فيه⁽⁷⁾.

وإلى جانب ذلك، فإن وضع (ثم) في آية الأنعام مقتضىً بالسياق من نواح عدة، في حين اقتضى سياق آية النمل مجيء الفاء، فقد حُتمت آية الأنعام بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، وحُتمت آية النمل بقوله تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾، لأن المكذب قد يُعطى له مهلة أطول من مهلة المجرم الذي ينبغي أن يؤخذ بجريمته على وجه التعقيب، وفي هذا

(1) سورة الأنعام، الآية: 12.

(2) سورة الأنعام، الآية: 6.

(3) أسرار التكرار في القرآن، ص: 65 - 66؛ وينظر: ملاك التأويل: (1/ 423 - 424).

(4) درة التنزيل، ص: 112.

(5) ينظر: مغني اللبيب، ص: 215.

(6) الكشاف: (7/2)؛ التفسير الكبير: (12/363)؛ وينظر: معترك الأقران: (3/58).

(7) ينظر: درة التنزيل، ص: 111 - 112.

تفسير لمجيء (ثم) مع المكذبين، والفاء مع المجرمين⁽¹⁾. ثم لننظر إلى قوله تعالى بعد آية النمل: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁽²⁾، وقوله في سورة الأنعام: ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾⁽³⁾، فالفرق بينهما في الإشارة إلى الاستعجال من عدمه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن ما ذكر من التكذيب والسخرية في سورة النمل أكبر مما ذُكر في سورة الأنعام، فقد تلا قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا أَنبَاءَ لَمُخْرَجُونَ ﴿١٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾﴾⁽⁴⁾ قوله الكريم: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾⁽⁵⁾، فاقضى ذلك التعجيل بالفاء.

- الواو ← ثم:

قال تعالى في سورة الأعراف⁽⁶⁾: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكَ إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْعَدِينِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ نَعْمُونَ ﴿١١٢﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٣﴾﴾. وقال في سورة الشعراء⁽⁷⁾: ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وحدث ما قبل فعل التصليب استبدال الواو التي تفيد الجمع⁽⁸⁾ بـ(ثم) التي تفيد التراخي والمهلة⁽⁹⁾ في الزمان «وقد تكون للتباين في الصفات والأحكام، وغير ذلك مما يحمل به ما بعدها على ما قبلها من غير قصد

(1) ينظر: التعبير القرآني، ص: 167 - 170.

(2) سورة النمل، الآية: 72.

(3) سورة الأنعام، الآية: 57.

(4) سورة النمل، الآيتان: 67 - 68.

(5) سورة النمل، الآية: 69.

(6) سورة الأعراف، الآيتان: 123 - 124.

(7) سورة الشعراء، الآية: 49.

(8) ينظر: الكتاب: (4/216)، شرح المفصل: (8/90)، الجنى الداني، ص: 188؛

مغني اللبيب، ص: 463.

(9) ينظر: المقتضب: (1/10)؛ الجنى الداني، ص: 406؛ مغني اللبيب، ص: 158 - 160.

مهلة زمانية، بل يُعلم موقع ما يُعطف بها وحاله⁽¹⁾. وقد قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: «فإن قلت: ما وجه ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفاتت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه، إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجر بها العادة، ولم تُخلق أنثى غير حواء من قصيري رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـ(ثم) على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيها عنها يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في المنزلة لا من التراخي في الوجود⁽²⁾. ولما سبق آية الأعراف الأخبار بتحويل الواقع في نفوس الحاضرين من فعل السحرة بقوله تعالى: ﴿سَكَّرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، فقد أنس عليه السلام بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾⁽⁴⁾، وتحويل ما توعد به فرعون سحرته في قوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَيِّرَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽⁵⁾، فعطف بـ(ثم) ليفيد ما قصد إليه من تعظيم موقع ما توعدهم به من التصليب وإطالته تعذيباً، وكان فعل السحرة حين ألقوا حبالهم وعصيتهم فُخِيل إلى فرعون والحاضرين أنها حيات تسعى، أثر فيهم ذلك، ووقع منهم موقفاً تعلق به رجاؤهم في تكذيب موسى، ولكنه أبطل كيدهم وباطلهم حين ألقى عصاه ﴿فَأَذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾⁽⁶⁾، فخر السحرة ساجدين لله تعالى واستشعر فرعون ما حلّ به وبملته، فهول في توعد السحرة فقال ما قاله تجلداً وتصبراً، أو تعزيةً لنفسه عما نزل به،

(1) ملاك التأويل: (574/1).

(2) سورة الزمر، الآية: 60؛ الكشاف: (338/3).

(3) سورة الأعراف، الآية: 116.

(4) سورة طه، الآية: 68.

(5) سورة الأعراف، الآية: 124.

(6) سورة الأعراف، الآية: 117.

فأرعد وأبرق في تهويل وعيده⁽¹⁾، بيد أن آية الشعراء لم تتضمن شيئاً من تهويل الواقع من فعل السحرة في النفوس، لمحجىء ذلك بصيغة إخبارٍ معتاد في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَوْمًا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّرُونَ وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فَزَعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾⁽²⁾، ثم جرى عطف فعل التصليب على فعل التقطيع بالواو التي تفيد الجمع بين الفعلين نوبةً واحدة نفيًا لإطالة مدة التكذيب بما يُنتظر منه إيقاع أشد ما يكون من الرعب في نفوس السحرة المخدقين في مقابلة آية موسى.

إن التحايل السياقي لصدري قوله تعالى في سورة الكهف⁽³⁾: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، وقوله في سورة السجدة⁽⁴⁾: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَرَىٰ آيَاتِنَا فَاعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِضُونَ﴾ بين وجوه توافق بينهما، غير أن الفرق بين وحدتيهما النحويتين: ﴿فَاعْرَضَ﴾ و﴿فَرَىٰ آيَاتِنَا﴾ متحقق بالأداتين العاطفتين، وأولاهما مفيدة الترتيب والتعقيب⁽⁵⁾، والثانية التراخي والمهلة⁽⁶⁾، وهاتان الوجدتان ترفدان قواعد بنية العبارة عن طريق الاستعارة من المعجم، وهما تتصلان بالعلاقات الدلالية المتنبطة من التوافق بين القوانين المعجمية والقوانين التركيبية، فهذه العلاقات هي المسؤولة عن اختيار المفردة المعجمية حين توضع في الموقع الذي تؤدي فيه وظيفة نحوية محددة، لأن البنية السطحية في حقيقتها نتاج لهذين القانونين، مما يجعل المفردة المعجمية تبدي مرونة عجيبة في تكييفها مع العلاقات الناجمة في السياق، ومن الثابت أن معاني الجمل هم من معاني بعض أجزائها، أو من

(1) ملاك التأويل: (1/ 575).

(2) سورة الشعراء، الآية: 44.

(3) سورة الكهف، الآية: 57.

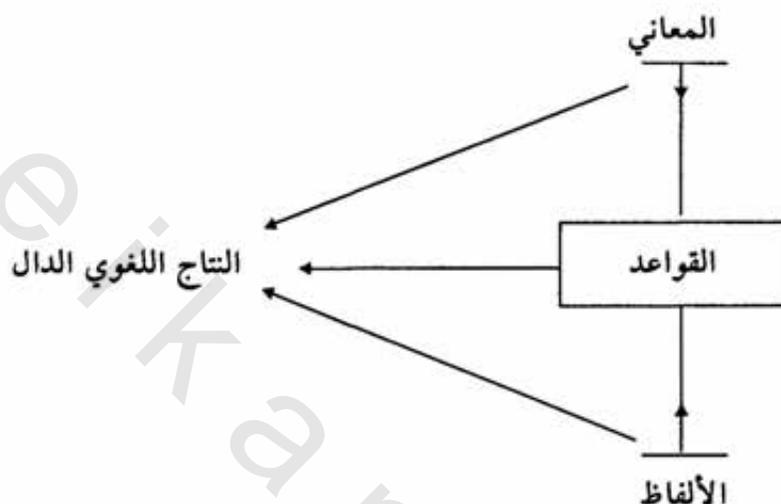
(4) سورة السجدة، الآية: 22.

(5) ينظر: الكتاب: (4/ 217)، المقضب: (10/ 1)، الجنى الداني، ص: 121؛ منتخب

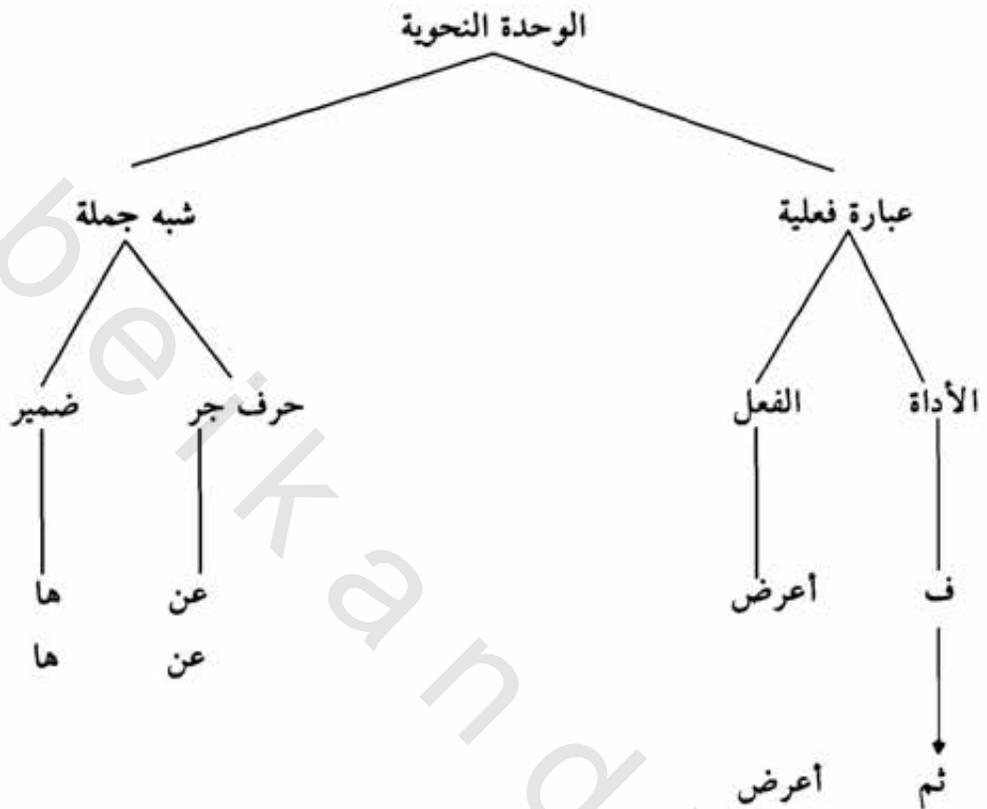
قرة العيون النواظر، ص: 87.

(6) ينظر: المقضب: (10/ 1)، الجنى الداني، ص: 406؛ مغني اللبيب، ص: 58-60.

الدلالة المعجمية المستقلة لتلك الأجزاء، بحيث يظهر التمثيل الدلالي لمكونات الجملة من خلال ترتيب تلك المكونات، ومن الطريقة التي تنظمها في السياق، وعن طريق القواعد التي تربط المعاني بالألفاظ تتم ترجمة اللفظ عن المعنى⁽¹⁾:



وعلى الرغم من مسؤولية القوانين التركيبية عن إقحام المفردات المعجمية داخل السياق، فإن هذه القوانين غير منفصلة عن الدلالة الظاهرة في البنية السطحية بوصفها ألفاظاً قائمة بنفسها، ويتضح هذا في تحليل قوله تعالى في الآيتين المذكورتين آنفاً:



إن ما ذكر من وقوع الإعراض في آية الكهف أسرع في آية السجدة، فهو واقع عقب التذكير، تدل على ذلك أقواله تعالى في آية الكهف: ﴿وَنِسَى مَا قَدَّمَتْ يَدَا﴾، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ فهي في قوم يستدعون إلى الإيمان، ولم تختتم أعمالهم بالكفر، لقوله تعالى: ﴿وَيُحْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالنَّبِيِّ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آبَائِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾⁽¹⁾، ويظهر من هذا أن الآية في الأحياء من الكفار «إذ ذكروا فأعرضوا عقيب ما ذكروا، ونسوا ذنوبهم، وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا»⁽²⁾،

(1) سورة الكهف، الآية: 56.

(2) أسرار التكرار في القرآن، ص: 133؛ وينظر: درة التنزيل، ص: 283؛ التعبير القرآني، ص:

وليس كذلك قوله تعالى في آية السجدة: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، فالآية في وصف الأموات منهم في يوم القيامة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَسْجُورِينَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ كَالْإِنسَانِ الَّذِي كَفَرَ فَأَصْبَحَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ حُجْرًا يُبْغَضُونَ﴾ (1)، إلى قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ لَوْلَا أَنذَرْنَاهُمْ إِلَىٰ عَذَابِنَا لَأَمْلَأْنَا جَهَنَّمَ مِنْهُمْ لَوَاقِحًا﴾ (2)، أي: «ذكر مدة عمره بآيات ربه، وتناول الأمر بزجره ووعظه، ثم ختم ذلك بترك القبول، وبالإعراض، فكان هذا قولاً يقال فيهم عند الانتقام منهم» (3).

قال تعالى في سورة الأنعام (4): ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعِرُونَ﴾ (5) ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحِكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (6)، وقال في سورة يونس (5): ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾، فقد قال في الموضوعين: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا﴾ و﴿وَرُدُّوْا﴾ باستبدال الواو العاطفة التي هي للجمع (6)، بالتقارب أو التراخي بين متعاطفيها (7) ب(ثم) العاطفة التي تفيد التراخي والبعد حسب (8). والسبب في ذلك أن آية الأنعام جاءت بعد قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعِرُونَ﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾، أي: ردهم الله الذي هو خالقهم ورازقهم بعد البعث للحساب (9)، ومعلوم أن المدة بين موت العبد ورده إلى الله للحشر والحساب طويلة، وفي هذا

(1) سورة السجدة، الآية: 12.

(2) سورة السجدة، الآيتان: 21 - 22.

(3) درة التنزيل، ص: 283؛ وينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص: 133.

(4) سورة الأنعام، الآيتان: 61 - 62.

(5) سورة يونس، الآية: 30.

(6) ينظر: الكتاب: (4/216)؛ شرح المفصل: (8/90)؛ الجنى الداني، ص: 188.

(7) ينظر: مغني اللبيب، ص: 463.

(8) ينظر: المقتضب: (1/10)؛ الجنى الداني، ص: 406؛ مغني اللبيب، ص: 160.

(9) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (7/7).

اقتضاء لمجيء (ثم) دون الواو، وفي مجيء ﴿أَحَدَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ مفرداً، والتكنية عنه بالجمع في قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا﴾ ملاحظة لوقوع التوفي على الانفراد عادةً، والردّ للحساب والجزاء على الاجتماع⁽¹⁾. وجاءت آية يونس بعد قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِكَ تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ ليعرف العباد أن ذلك سيكون في ذلك المكان، وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت، والمقصود به يوم القيامة عندما تقف الخلائق للحساب، فتختبر كل نفس ما أسلفت من الأعمال في الدنيا، ويفهم من قوله تعالى:

﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقِّ﴾ أن ذلك الموقف سيكون حساباً وجزاءً، بعد الحشر الذي تحدثت عنه آيات السورة نفسها، فقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَرِيقًا بَيْنَهُمْ⁽²⁾﴾، أي: فرقنا وقطعنا ما كان بين المشركين وشركائهم من الأوثان والشياطين من التواصل في الدنيا⁽³⁾، ثم قال: ﴿هَٰؤُلَاءِكَ تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقِّ﴾، والمدة بين الحشر والردّ إلى الله تعالى للحساب والجزاء ليست طويلة قياساً بالمدة التي بين الموت وبين حلول يوم الحساب والجزاء، ولذلك استعملت «الواو» المفيدة للتقارب في أحد معنيها.

من الواضح أن التحليل النحوي الصائب لا ينفصل عن الحكم الفاصل في تحديد المعنى، فطبيعة التحليل الدلالي ترتبط كما أسلفنا بمواقع ظهور المكونات النحوية، وهذه الحقيقة لا تنفك عن إحساس الباحث اللغوي بالمعنى المقصود، فالموت الذي يجيء الفرد الواحد كما أخبر عنه في سورة الأنعام غير الرد الجماعي إلى الله، على فتور واقع بين الحدثين، ليكون ثمة حساب بحضرة أسرع الحاسبين يوم القيامة، ولما كان البون بين الموت والحشر ظاهراً، فإن (ثم)

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (3/145).

(2) سورة يونس، الآية: 28.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (8/333).

ملائمة للبنية السطحية التي ترتبط ببنية دلالية مفهومة من خلال السياق. فالتقارب الدلالي بين الوحدات المعجمية:

أحدكم / توفته / ردوا / و ← (ثم)

يكشف الدلالة العامة للآية القرآنية، في حين يتضح التمثيل الدلالي لآية يونس من خلال:

هنالك / أسلفت / و ← (و).

فإذا كانت اللغة نظاماً متكاملًا من حيث القوانين المحكمة التي تجعل ذلك النظام مفهوماً⁽¹⁾، فإن الأسلوب الذي تحدثنا عنه هو الفن الذي يخلع على اللغة طرازها البديع، والقرآن الكريم في القمة منه، ففي سورة يونس بدأ الحساب، واختبار النفوس، بعد ردّ العباد إلى الله مولاهم الحق، وكانت «الواو» أداة التناسب الجامع بين الحشر والاختبار، ومع أن حدث الردّ مستقبلي، فقد ذكر بصيغة الماضي المبني للمجهول «رُدُّوْا» في الآيتين، لأنه متحقق الوقوع، مقطوع بحصوله لا محالة⁽²⁾.

ومن استبدال «الواو» بـ(ثم) أيضاً، قوله تعالى في سورة التوبة⁽³⁾: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَمْتَدِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَبَّرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّوتَ إِلَىٰ عَنِيرِ الْعَنِيبِ وَالشَّهَادَةَ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقوله فيها: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَبَّرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُونَ إِلَىٰ عَنِيرِ الْعَنِيبِ وَالشَّهَادَةَ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾، والحديث عن الرد أيضاً، وقد نزلت الآية الأولى في المنافقين الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك، فأذن لهم⁽⁵⁾، يدل على ذلك سياق الآيات التي قبلها، فقد قال

(1) David Crystal - What is Linguistics - London / 1981: P: 17.

(2) ينظر: شرح الرضي على الكافية: (12/4).

(3) سورة التوبة، الآية: 94.

(4) سورة التوبة، الآية: 105.

(5) ينظر: الكشاف: (205/2).

تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾⁽¹⁾، إلى قوله: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁽²⁾، وإفادة (ثم) التراخي والبعد، فإن معنى قوله تعالى للمنافقين: ﴿قَدْ بَيَّأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَّرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: سيعلم الله حقيقة عملكم، ويراه من غير اعتقاد صحيح منكم، وأن اعتذاركم للرسول والمؤمنين إنما هو قول بالستكم لا يطابقه ما تنطوي عليه ضمائرهم، وهذا يدل على أن الجزاء عليه سيكون بخلافه، فافتضى ذلك الفصل بينه وبين ردهم إلى الله تعالى للحساب والجزاء عليه، ومع أنه ﷺ يعلم أن ظاهر عملكم خلاف باطنه، فقد أمرنا الله بالرضا به، وحقن دمائكم له، ثم إن الحكم إذا رددتم إليه في الآخرة سيكون بخلافه ولبعد ما بين الظاهر من عملهم وما يجازون به دخلت (ثم)⁽³⁾، وفي هذا فضلاً عما فيه من تخويف وزجر تصويراً للمسافة الشعورية الشاسعة بين ظاهر المنافق وباطنه، فليس ثمة تطابق بينهما، وقد عبر ﷺ عن هذه الحقيقة بأدوات نحوية كامنة في زمنين متباينين للدلالة على التباين الحاصل بين الظاهر والباطن بـ (لا) الدالة على الحال، و (لن) الدالة على الاستقبال⁽⁴⁾، لأن ماضي المنافقين لا ينفك عن حالهم المعبر عنها بـ (قد) التي تفيد تقريب المضي من الحضور⁽⁵⁾. أما الآية الثانية فإن الخطاب فيها للمؤمنين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك مع من تخلف فاعترفوا بذنوبهم⁽⁶⁾، وأنابوا إلى الله، يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة التوبة، الآية: 81.

(2) سورة التوبة، الآية: 87.

(3) درة التنزيل، ص: 204.

(4) ينظر: شرح المفصل: (111/8)؛ مغني اللبيب، ص: 373.

(5) ينظر: شرح المفصل: (147/7)؛ مغني اللبيب، ص: 228.

(6) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: (16/11).

(7) سورة التوبة، الآية: 102.

فالواو العاطفة في قوله: ﴿وَسَرُّدُونَ﴾ مفيدة الجمع. وفي الآية نفسها بعث على عمل الخير، لقوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وهذا وعد، لا يشاكل الوعيد الموجه للمنافقين في الآية الأولى، بل يشاكل أفعال المؤمنين ويطابق أعمالهم من حسن الثواب، وجميل الجزاء، ولا يبعد عنها كبعد جزاء المنافقين عمّا هو ظاهر من أعمالهم التي يراؤون بها ويعلم الله تعالى خلافها منهم⁽¹⁾، وقد أجري الكلام على نسق واحد فقيل: ﴿فَسِرِّيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُّدُونَ﴾ باستعمال الواو المفيدة للمشاركة والجمع، أي: أن باطن المؤمن وظاهره متطابقان مشتركان في صفة الصدق، بخلاف ما في الآية الأولى من القول المتعلق بنفي الاعتذار، وهو في الآية الثانية متعلق بالإثبات، لأن الصفاء حاصل فيها، وتمثل لنا الآية الأولى تضاداً بين المجاهدين والقاعدين، و«الله» والقاعدين، وهذا مما يشعرنا بوجود مسافة شعورية شاسعة بين قطبي التضاد:

تباين

الله ← القاعدون

المجاهدون ← القاعدون

فإذا رمزنا لقطبي التضاد للحالة الأولى بـ«أ» و«ب»

فإن $A \neq B$

ولو رمزنا للمجاهدين بـ«ج»

فإن $C \neq B$ ، ولهذا فإن:

$C \neq B$

أي أن $A + C \neq B$

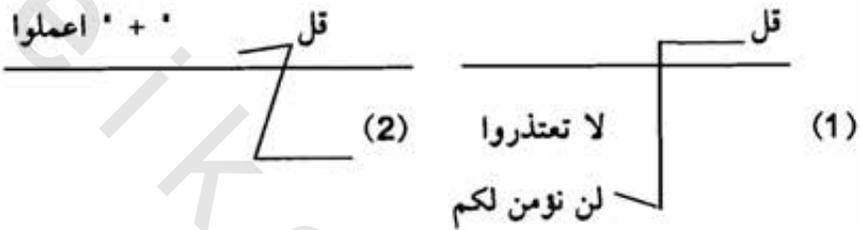
ومن حيث اتصال الصيغة بالزمن فإن:

(1) درة التنزيل، ص: 204.

لا تعتذروا ← الحال

لن نؤمن ← الاستقبال

والمسافة الزمنية بين الحال والاستقبال تشكل من طرفيها قطبي تضاد آخر، ولما كان التركيب النحوي مجموعة من علاقات ترابطية⁽¹⁾، فإن الربط بين [قُلْ] و[سَيَّرِي] في الآية الأولى طويلة «ط -»، وفي الآية الثانية قصيرة «ط +»، فضلاً عن القول المنفي «-» في الآية الأولى، والموجب «+» في الثانية.



الواو ← الفاء:

قال تعالى في سورة طه⁽²⁾: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾، وقال تعالى في سورة السجدة⁽³⁾: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي السَّمْعِ﴾، فبدأ بالفاء بعد الاستفهام في الأولى، وبالواو بعده في الثانية، وذلك لأنه أوماً في سورة طه إلى عقوبات الدنيا والآخرة معاً، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾⁽⁴⁾، فذكر المعيشة الضنك في الدنيا لمن يعرض عن ذكر ربه، وحشر العمى في الآخرة، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾⁽⁵⁾، يعني: في

(1) جوزيف ميشال شريم - دليل الدراسات الأسلوبية، بيروت، 1984 م، ص: 39.

(2) سورة طه، الآية: 128.

(3) سورة السجدة، الآية: 26.

(4) سورة طه، الآية: 124.

(5) سورة طه، الآية: 127.

حياته الدنيا، بخلاف ما في سورة السجدة فإنه تعالى أقر الأمر إلى يوم القيامة، وكان قد قال قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾⁽¹⁾. فجاء بالفاء العاطفة في سورة طه لإفادة الترتيب والتعقيب⁽²⁾، وجاء بالواو العاطفة⁽³⁾ في سورة السجدة لإفادة الجمع⁽⁴⁾، وجواز أن يكون ما بعدها مترافياً عما قبلها⁽⁵⁾، وعذاب الآخرة في معلومنا الحاضر مترافياً. كما استبدلت الفاء بالواو أيضاً في قوله تعالى في سورة الأعراف⁽⁶⁾:

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾، وقوله في سورة النمل⁽⁷⁾: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾، وذلك في مستهلها، وقد نزلت هاتان الآيتان في قوم لوط عليه الصلاة والسلام حين وبخهم على فعلهم القبيح، وركوبهم ما حرمه عليهم من العمل الخبيث⁽⁸⁾، فلم يكن لهم جواب عما كلمهم به، ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا علاقة له بكلامه ونصيحته، ولا يصلح أن يكون جواباً له، فأمرؤا بإخراجه من قريتهم ومن معه من المؤمنين، ضجرأ بهم، وبما يُسمعونهم من الوعظ والنصيحة⁽⁹⁾.

وقد جيء بالفاء العاطفة الدالة على الترتيب والتعقيب في قوله في آية النمل: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ لتدل على أن جوابهم كان أسرع منه في آية الأعراف،

(1) سورة السجدة، الآية: 25.

(2) ينظر: الكتاب: (217/4)؛ المقتضب: (10/1)؛ مغني اللبيب، ص: 213 - 214.

(3) ينظر: أبو عبيدة - مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، 1970 م، ط 2: (2/133)؛ الكشاف: (3/246)، ملاك التأويل: (2/829).

(4) ينظر: الكتاب: (216/4)؛ شرح المفصل: (8/90)؛ الجنى الداني، ص: 188.

(5) ينظر: مغني اللبيب، ص: 463.

(6) سورة الأعراف، الآية: 82.

(7) سورة النمل، الآية: 56.

(8) جامع البيان في تفسير القرآن: (8/165).

(9) ينظر: الكشاف: 2/92؛ الضمير الكبير: (24/204).

وسياق كل من الآيتين يقتضي ما ذكرنا، فقد قال ﷺ في سورة الأعراف⁽¹⁾: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٢﴾ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرَبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ وقال في سورة النحل⁽²⁾: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحَةَ وَأَنْتُمْ تُبْعِرُونَ ﴿٥١﴾ أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٢﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرَبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾. ويظهر من هذا أن مقام الإنكار والتقريع في سورة النمل أشد منه في سورة الأعراف، يدل على ذلك: قوله تعالى في الأعراف: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾، وقوله في النمل: ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ بعد همزة الاستفهام المفيدة للإنكار والتوبيخ، ويفهم من قوله تعالى في الأعراف: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وقوله في النمل: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أن الوصف بالجهل فيه زيادة توبيخ، ذلك أن وصف الإنسان بالإسراف أهون من وصفه بالجهل، ولذلك فقد بادر قوم لوط بالرد السريع بلا أناة ولا ريث، لأنه أعاظهم بكلامه في النمل أكثر مما حصل في الأعراف⁽³⁾، فجاءت الفاء لتدل المستمع وشيكاً على إصرار أولئك على قبائحهم⁽⁴⁾. ومما يدل على شدة غيظهم تصريحهم باسمه في آية النمل: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾، مقابل الإيماء إليه وإلى من آمن معه بضميرهم في جملة: [أَخْرِجُوهُمْ]. وليس ثمة تناقض بين القولين والقصة واحدة، لأن الواو لا تناقض الفاء، ولكنها تعطف وتجمع⁽⁵⁾، وليكون ما بعدها عقب ما قبلها، أو متأخراً عنه، أو متقدماً عليه⁽⁶⁾، ولا يحدث هذا بالفاء التي ترتب الحديث وتعقب

(1) سورة الأعراف، الآيات: 80 - 82.

(2) سورة النحل، الآيات: 54 - 56.

(3) ينظر: التعبير القرآني، ص: 181 - 182.

(4) ينظر: القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 193.

(5) ينظر: الكتاب: (4/216)؛ شرح المفصل: (8/90)؛ الجنى الداني، ص: 188.

(6) ينظر: الفراء - معاني القرآن: (3/211)؛ مغني اللبيب، ص: 463.

بينهما، مما هو في حقيقته أحد معاني الواو، ولهذا قال سيبويه: «وهي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض»⁽¹⁾، وقد اقتضى السياق في آية النمل معنى الترتيب والتعقيب، وأطلق ذلك في الأعراف لأنه لم يقض بذلك ولم يستدعه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن قوله تعالى في آية النمل: ﴿فَمَا كَاتَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ يبدو وكأنه متسبب عن قول لوط: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَاهِلُونَ﴾ فهو يشبه أن يكون جواباً له، ومجيء قوله تعالى: ﴿فَمَا كَاتَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بعد قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَاهِلُونَ﴾ المختوم بالجملة الفعلية، وهو مما يصلح فيه الفاء، وكان قولهم كان مرتباً على هذه الجملة وقد ختم الجواب بمسرفين في آية الأعراف، وليس الاسم أصلاً فيما تجعل الفاء جواباً فيه⁽²⁾.

ومن استبدال الواو بالفاء أيضاً قوله تعالى في سورة الأعراف⁽³⁾: ﴿وَيَتَكَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَرَزَجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وقوله في سورة البقرة⁽⁴⁾: ﴿وَقُلْنَا يَتَكَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَرَزَجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وذلك قبل فعل الأكل في السياقين، جمعاً بين السكنى والأكل في الثانية بالواو⁽⁵⁾، وترتيباً لهما وتعقيباً بالفاء⁽⁶⁾، في الأولى. والواو أوسع من الفاء، لأن من جملة معانيها معنى الفاء⁽⁷⁾ نفسها، وهي صالحة

(1) الكتاب: (217/4)؛ وينظر: المقتضب: (10/1).

(2) ينظر: درة التنزيل، ص: 162 - 163؛ أسرار التكرار في القرآن، ص: 86 - 87؛ ملاك التأويل: (1/553 - 554).

(3) سورة الأعراف، الآية: 19.

(4) سورة البقرة، الآية: 35.

(5) ينظر: الكتاب: (217/4)؛ المقتضب: (10/1)؛ مغني اللبيب، ص: 213 - 214.

(6) ينظر: الكتاب: (216/4)؛ شرح المفصل: (90/8)؛ الجنى الداني، ص: 188.

(7) ينظر: التفسير الكبير: (45/14)؛ مغني اللبيب، ص: 463.

لجميع الأزمان بما فيها زمن الأحداث التي ترتب وتتعقب، ودلالاتها على السعة في الاختيار، ومناسبتها لمقام التكريم، لأن قصة آدم في سورة البقرة مبنية على تكريمه⁽¹⁾، على خلاف قصته في الأعراف، لأنها ليست مبنية على هذا الأمر⁽²⁾، فقوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ﴾ في آية البقرة من «السكنى» التي هي الإقامة مع طول اللبث، ومن «المسكن» وهو اتخاذ الموضوع سكناً في آية الأعراف، لأن الله أخرج إبليس من الجنة بقوله: ﴿أَخْرِجْ يَنْهَا مَذَهُ وَمَا مَدَّحُورًا﴾⁽³⁾. وخاطب آدم بقوله: ﴿يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي: اتخذها لأنفسكما مكناً، فإبليس يخرج منها ليتخذها آدم مكناً، ﴿فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ يَشْتَتَا﴾، وبهذا شاكلت الفاء هذا المكان، لأن اتخاذ المكن لا يستدعي زمناً ممتداً، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقيب بدء السكن، وهذا الجمع في آية البقرة متحقق بين السكنى والأكل⁽⁴⁾، لأن الأمر ورد بعد أن كان آدم في الجنة للبث والاستقرار والأكل لا يتعلق بهذا المراد، لذا ورد بلفظ الواو.

والأمر في آية الأعراف وارد قبل دخوله الجنة كما أريد منه وله، فكأنه تعالى قد قال: «إِنْ دَخَلْتُمُوهَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا»⁽⁵⁾، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق وجوده بوجوده.

ويُستنتج مما سبق أن المجيء بالواو في آية البقرة في قوله: ﴿وَكَلَّا﴾ للدلالة على السعة والاختيار، وهو المناسب لسياق الآية، ولمقام التكريم، لأننا لو قلنا

(1) سورة البقرة، الآيات: 30 - 38.

(2) سورة الأعراف، الآيات: 11 - 25.

(3) سورة الأعراف، الآية: 18.

(4) ينظر: درة التنزيل، ص: 10 - 11؛ أسرار التكرار في القرآن، ص: 25 - 26؛ البرهان في علوم القرآن: (1/128)؛ الإتيان: (3/391)؛ معترك الأقران: (1/87)؛ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 57؛ محمد السيد حسن مصطفى - الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، الإسكندرية، 1981م، ط 1، ص: 337.

(5) التفسير الكبير: (4/3).

لشخص: أدخل وكُل، كان له الحق في الأكل متى شاء، ولو قلنا: أدخل فكل، كان عليه أن يأكل عقب الدخول، فالواو أرحب زماناً من الفاء⁽⁶⁾.

ومما يدل على أن آية البقرة واردة في مقام التكريم الإشارة إلى الرغد في سياقها وفي زمن غير محدد، مما لم يُذكر في آية الأعراف. وقد جمع بالواو في آية البقرة بين الزمن الممتد والعيش الرغيد، لدلالاتها على أن ذلك سيقع في مكان وزمان رحبين مطلقين غير محددين، تكريماً لآدم وزوجه:

الواو = الرحب الزماني.

حيث شتمة = الرحب المكاني.



لذلك كررت لفظة «الجنة» في البنية التحتية التي عبّر عنها بالضمير في البنية السطحية: ﴿يَنَادِمُ أَتَىٰ أَتَىٰ أَنْتَ وَرَزَقَكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، وجاءت ﴿رَعْدًا﴾ صفةً لموصوف محذوف، أي: أكلا رعداً⁽⁷⁾، دالة على التوكيد، ومناسبة للتكريم، وقد قيّد التضاد الزماني المطلق بـ(من) البعضية في الأعراف: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، لأن الموقف يتطلب ذلك.

◀ النافية بالنافية:

- لا ← ما:

قال تعالى في سورة القصص⁽⁸⁾: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ

(1) ينظر: التعبير القرآني، ص: 257.

(2) إملاء ما من به الرحمن: (30/1).

(3) سورة القصص، الآية: 80.

خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْأَصْكِيرُونَ ﴿٣٥﴾، وقال في سورة فصلت⁽¹⁾:
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾،
فقال: ﴿وَلَا يُلْقِنَهَا﴾ و﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ لأن آية القصص موجهة لأولئك الذين تمنوا
أن يعطيهم الله من قوم موسى عليه الصلاة والسلام مثل ما أعطى قارون بقولهم:
﴿يَبْلِيَّتْ لَنَا مِمَّا أُوتِيَ قُتْرُونَ إِنَّهُمْ لَدُوٌّ حَظِيظٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾ تقريباً لهم بقوله تعالى:
﴿وَنِلَّكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْأَصْكِيرُونَ﴾ فضمير
النصب في قوله: ﴿وَلَا يُلْقِنَهَا﴾ عائد للثواب بمعنى المثوبة، أو عائد إلى
الجنة⁽³⁾، و«لا» النافية غير العاطفة وغير الجوابية إذا دخلت على الفعل المضارع
كما في هذه الآية خلصته للاستقبال، قال سيبويه: (وتكون «لا» نفيًا لقوله «يفعل»
ولم يقع الفعل، فتقول: لا يفعل)⁽⁴⁾، وثواب الله تعالى بدخول الجنة إنما يتلقاها
العبد يوم القيامة، وهو مستقبل، فلذلك دخلت (لا) النافية على الفعل المضارع
[يُلْقِنَهَا]. بيد أن دخول (ما) النافية على الفعل نفسه في الآية الأخرى قد خلصته
للحال⁽⁵⁾ لأن هذه الآية واردة في سورة فصلت في سياق بيان الله ﷻ أن الحسنه
والسيئة لا تستويان عنده، ولهذا أمر نبيه ﷺ أن يأخذ بأحسن الحسنتين في موقف
التعارض بينهما ليدفع بها السيئة التي ترد عليه من أعدائه الكفار⁽⁶⁾، وذلك في
قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾⁽⁷⁾، مع أن دفع السيئة بالحسنة عام لكل المسلمين،

(1) سورة فصلت، الآيتان: 34 - 35.

(2) سورة القصص، الآية: 79.

(3) الكتاب: (222/4)؛ وينظر: شرح المفصل: (102/8)؛ الجنى الداني، ص: 303؛
معني اللبيب: 322.(4) ينظر: الكتاب: (221/4)؛ شرح المفصل: (112/8)؛ الجنى الداني، ص: 330؛
معني اللبيب، ص: 399.

(5) ينظر: الكتاب: (221/4)، شرح المفصل: (112/8).

(6) ينظر: الكشاف: (453/3).

(7) سورة فصلت، الآية: 34.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ بمعنى: «وما يلقي هذه الخليفة أو السجية التي هي مقابلة الإساءة بالاحسان إلا أهل الصبر»⁽¹⁾، وذلك في خطاب يتضمن مدح النبي ﷺ والثناء عليه، لأنه كان يدفع السيئة بالحسنة في كل حال مما تشاكله (ما) النافية وتناسبه.

- إن - ما:

قال تعالى في سورة الأنعام⁽²⁾: ﴿وَمِنَهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُذُوبًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ بُعْدُكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، وقال في سورة الأحقاف⁽³⁾: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَقْبَى لَكُمَّا أَنْعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِغِيَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ و﴿مَا هَذَا﴾ في سياق النفي بـ (إن) و(ما) وما تبعه من قصر المبتدأ [هَذَا] في الجملتين الإسميتين⁽⁴⁾ على خبره [أَسَاطِيرُ] بأداة القصر (إلا)، ولا يخفى أن آية الأنعام النازلة في كفار مكة الذين لم ينتفعوا بما سمعوه من الرسول ﷺ ولم يتقادوا إلى الحق⁽⁵⁾، بإشارات سياقها إلى ما جعله الله على قلوبهم من الأكنة، وما أفرغه في آذانهم من الوقر، ما طبعهم عليه من قلة الإيمان بآياته، فدرجة تكذيبهم في هذه الآية أشد مما وصفته آية الأحقاف الواردة في ولد ضال، كافر، عاق لوالديه اللذين يجتهدان في نصيحتة «فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق ونصيحتهما له إلا عتوّاً وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله»⁽⁶⁾. ولما كانت صفات المكذبين في آية الأنعام أشد وأكثر، فقد أكد

(1) الكشف: 454/3.

(2) سورة الأنعام، الآية: 25.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 17.

(4) ينظر في «إن» و «ما» النافيتين: المفردات في غريب القرآن، ص: 27، 79؛ شرح

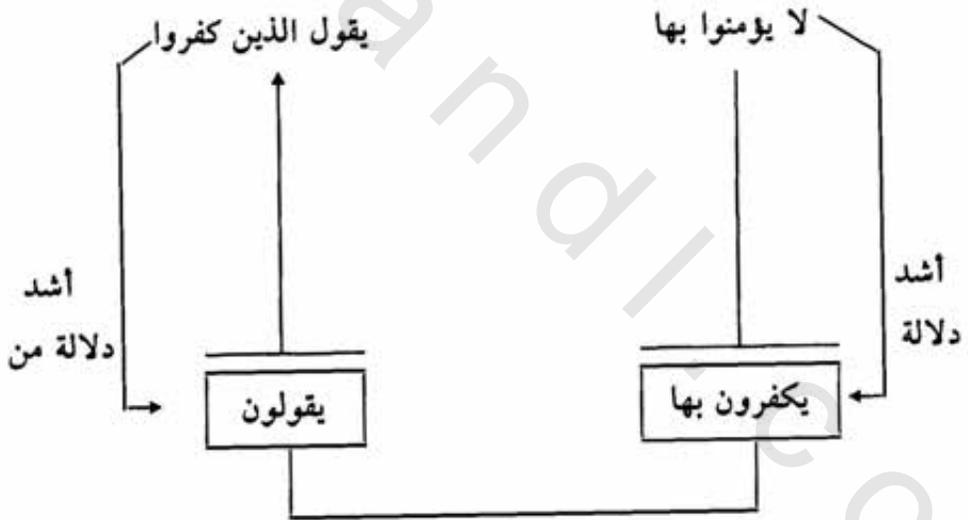
المفصل: (112/8 - 113)؛ معجم الهوامع: (109/2 - 116)؛ مغني اللبيب، ص:

33، 399.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (404/6).

(6) جامع البيان في تفسير القرآن: (13/26).

النفي فيها بـ (إن) لمزيد قوة فيها على التأكيد بـ (ما)، فضلاً عن كثرة اقتران نفيها بـ (إلا)⁽¹⁾، زيادة في قوته، من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام⁽²⁾: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْبَانٍ﴾، وقوله: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽³⁾. وقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾⁽⁵⁾، لأن المقام في سورة الأنعام مقام نفي مؤكد، وما نلاحظه من عدوله تعالى من: ﴿يَقُولُونَ﴾ إلى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ومن «يكفرون بها» إلى: ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ يشير إلى الصفات التي تدل على أن كفر أولئك أكيد، وجحدهم واقع، بما لـ (إن) من فاعلية في التوكيد الشديد أكثر من (ما)، فضلاً عما غرزت به من قوة (إلا) في التأكيد أيضاً:



(1) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص: 27.

(2) سورة الأنعام، الآية: 7.

(3) سورة الأنعام، الآية: 25.

(4) سورة الأنعام، الآية: 26.

(5) سورة الأنعام، الآية: 29.

- لن - لا:

قال تعالى في سورة البقرة⁽¹⁾: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، وقال في سورة الجمعة⁽²⁾: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، فقال: (لن) و(لا) في مستهلها المنفي بهما. والسبب في ذلك أن آية البقرة قد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽³⁾، كلاماً على الآخرة ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾، ورداً على اليهود الذين ادَّعوا أن الجنة لهم دون غيرهم مستقبلاً، لأن الآخرة مستقبلة⁽⁴⁾، وقد نفى ب(لن) الحرف الخاص بنفي كل ما يستقبل⁽⁵⁾، على خلاف الكلام في آية الجمعة فهو عام، لا يختص بزمن دون زمن، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾⁽⁶⁾، فنفي ب(لا)، الحرف الذي يفيد الإطلاق والعموم، بدليل دخوله على الحال⁽⁷⁾، نحو قولنا: أراك لا توافق، وجاء زيد لا يتكلم، ودخوله على الماضي⁽⁸⁾، في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْقَعْبَةَ﴾⁽⁹⁾.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن آية البقرة لما كانت مسبوقه بشرط في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ﴾⁽¹⁰⁾،

- (1) سورة البقرة، الآية: 95.
- (2) سورة الجمعة، الآية: 7.
- (3) سورة البقرة، الآية: 94.
- (4) ينظر: ملاك التأويل: (1/227)؛ معترك الأقران: (3/458).
- (5) ينظر: الكتاب: (4/220)؛ المقتضب: (2/6)؛ شرح الرضي على الكافية: (4/38)؛ الجنى الداني، ص: 284؛ مغني اللبيب، ص: 273.
- (6) سورة الجمعة، الآية: 6.
- (7) ينظر: المقتضب: (2/343)؛ الجنى الداني، ص: 304؛ مغني اللبيب، ص: 322.
- (8) ينظر: شرح الرضي على الكافية: (4/12)؛ الجنى الداني، ص: 304؛ مغني اللبيب، ص: 320 - 321.
- (9) سورة البلد، الآية: 11.
- (10) سورة البقرة، الآية: 94.

فوقوع هذا الشرط هو غاية ما يطلبه المطيع، ولا مطلوب وراءه عنده، على ما ادعى اليهود لأنفسهم، وهو أنّ لهم الدار الآخرة خالصة من دون غيرهم، لذا «وجب أن يكون ما يبطل تمني الموت المؤدي إلى بطلان شرطهم أقوى ما يستعمل في بابه، وأبلغه في معنى ما ينتفي شرطهم به، وكان ذلك بلفظة (لن) التي هي للقطع والبتات»⁽¹⁾.

ف (لن) تفيد التوكيد، وقد صرح الزمخشري في قوله: (و «لن» لتأكيد ما تعطيه «لا» من نفي المستقبل)⁽²⁾، ومثل هذا قول سيويه في «لن» إنها «نفي لقوله: سيفعل»⁽³⁾، والسين في «سيفعل» إلى جانب إفادته الاستقبال مفيد التوكيد أيضاً⁽⁴⁾، فإذا كان الإثبات فيه معنى التوكيد، ففيه يكون مؤكداً أيضاً. وليس كذلك الشرط الذي علق به تمني الموت في سورة الجمعة، لأنه تعالى قال: ﴿قُلْ بِآيَاتِهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَرْسِلُهُ لِيُتَوَكَّلُوا عَلَيَّ وَلَئِن يَبْتَغُوا خَيْرًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَمَا يُبَدِّلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يُبَدِّلُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ﴾⁽⁵⁾، وليس زعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس غاية ما يطلبونه، لأنهم يطلبون بعد ذلك دار الثواب، وهي الجنة التي هي غاية ما يطلبه العبد المطيع. فلما كان الشرط في آية الجمعة قاصراً عن الشرط في آية البقرة، ولم تكن الدعوى غايةً للمطلوب «لم يحتج في نفيه وإبطاله إلى ما هو غاية في بابه»⁽⁶⁾، فنفاه تعالى بـ (لا) الخالية من معنى التأكيد، أضف إلى هذا مناسبة (لن)، و(لا) لموضعيهما في الآيتين مناسبة صوتية لها علاقة بمعنى كل من الآيتين، فلما كان الزمن في آية الجمعة عاماً مطلقاً، غير مقيد بزمن معين، فقد نُفي بـ (لا) المطلقة الآخر بالألف، ونفي في آية

(1) درة التنزيل، ص: 24؛ وينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص: 32.

(2) المفصل، ص: 143؛ وينظر: التفسير الكبير: (3/192)؛ شرح الرضي على الكافية: (38/4).

(3) الكتاب: (220/4).

(4) ينظر: الكشف: (1/315)، (2/202)؛ البرهان في علوم القرآن: (2/421).

(5) سورة الجمعة، الآية: 6.

(6) درة التنزيل، ص: 25؛ وينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص: 32 - 33.

البقرة بـ (لن) المقيدة الآخر بالنون الساكنة لأن الزمن في الآية المذكورة مقيدة بالاستقبال⁽¹⁾، ولهذا قال ابن القيم (ت 751 هـ): (وتأمل حرف «لا» كيف تجدها لا ما بعدها ألف يمتدّ بها الصوت ما لم يقطعه ضيق النفس، فأذن امتداد لفظها بامتداد معناها، و«لن» بعكس ذلك، فتأمله فإنه معنى بديع، وأنظر كيف جاء في أفصح الكلام كلام الله ﴿وَلَا يَسْتَوُونَ أَبَدًا﴾ بحرف (لا) في الموضع الذي اقترن به حرف الشرط بالفعل فصار من صيغ العموم، فانسحب على جميع الأزمنة، وهو قوله ﷺ: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَرْبَابٌ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، وقال في سورة البقرة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ فقصر من سعة النفي، وقرب، لأن قبله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾⁽²⁾.

(1) ينظر: الزملكاني - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، بغداد، 1974 م، ط 1: 193؛ البرهان في علوم القرآن: (2/420).
 (2) ابن القيم الجوزية - بدائع الفوائد، بيروت، د. ت: (1/95 - 96).